الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirest -
Faculté des Lettres et des Langues

المجلس العلمي
كلية الآداب واللغات

محاضرات في النص الأدبي القديم

(شعر)

موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس

إعداد

الدكتور عبد القادر لباشي

الموسم الجامعي: 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

الرقم: 40 / م ع / ك آ ل/ج ب 2022

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

خاص بـ:

ملفات المطبوعات البيداغوجية

صادق المجلس العلمي في اجتماعه يوم 2022/04/26 على المطبوعة البيداغوجية للأستاذ: عبد القادر لباشي من قسم اللغة والأدب العربي و التي تحمل عنوان: (مادة النص الأدبي القديم " شعر ")، موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس، تخصص: أدب حديث و معاصر، و قد حظيت المطبوعة بتزكية المجلس العلمي بناء على التقريرين الإيجابيين للخبيرين اللذين أجمعا على توفر المطبوعة على الشروط العلمية والمنهجية المطلوبة.

الخبير	الصفة	جامعة الإنتماء
د/عثمان مقيرش	أستاذ محاضر- أ-	جامعة محمد بوضياف – المسيلة-
د/طيبي عيسى	أستاذ محاضر- أ-	جامعة محند أكلي أولحاج – البويرة-

رئيس المجلس العلمي للكلية/

رئيس المجلس العلمي
الأستاذ: طهراوي بو علام

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة
المجلس العلمي
كلية الآداب واللغات

محاضرات في النص الأدبي القديم

(شعر)

موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس

إعداد

الدكتور عبد القادر لباشي

الموسم الجامعي: 2022/2021

جامعة الدكتور يحيى فارس - المدية
المجلس العلمي
كلية الآداب واللغات

مقدمة:

تمثل هذه الصفحات **محاضرات في النص الأدبي القديم** في شقّه الشعري تحديدا، وهي عبارة عن قراءات ومحاورات نصية بلغة سهلة ومبسطة، تهدف إلى الغوص في هذا النص الشعري الخالد، خلود هذا الشاعر العربي القديم في تأملاته وفلسفاته الوجودية والثقافية، والإنسانية. وهي تتّخذ من نصوص الشعراء مادة خصبة للتدليل على جمالية اللغة، ورقي الأسلوب، وعمق الطرح الحياتي الذي أسر الشاعر القديم، وجعله يقدِم على المغامرات المختلفة واقعيا وجماليا، ويجسدها قولا شعريا.

تنطلق القراءة من أجواء السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي لتواجه النص بكل ما يحمله من كنوز بيانية وبلاغية مدهشة، في تواز يسعى إلى فهم كون الشعر العربي القديم، وآفاقه الجمالية، لتصادفنا نصوص المعلقات في مضامينها وأساليبها كأرقى ما وصل إليه شعر ما قبل الإسلام؛ ذلك الشعر الذي بقي لقرون كثيرة مثار إعجاب الشعراء والنقاد. ولكن شعر الصعاليك يخالف شعر القبلية المركز، بكونه نسقا هامشيا يريد إثبات الذات.

ومع مجئ الرسالة العظيمة، يحلّ شعر صدر الإسلام، ويخفتَ صوت الشعر فنيّا، ليحوّل البوصلة إلى خطاب جديد مصاحب لمسيرة عربيّة إنسانيّة جديدة مؤثرة في النفوس، ومواكبة لأحداث العصر.

ثمة انفتاح حدث بقوة بعد هذه الفترة أحدث انقلابا سياسيا، فظهرت القصيدة السياسية بكّل ألوانها وتوجهاتها وحججها، واستمرت ردها من الزمن، غير أنّ نصوصا كثيرة في الغرض أعطت صورة زاهية عن الشعر العباسي وبوأته النص الأنموذج (المتنبي وأبي تمام، والبحتري..وغيرهم). وفي أثناء ذلك ظهر شعر الحكمة والشعر الفلسفي تجسيدا لروح الانفتاح على الوافد؛ الآداب اليونانية والفارسية. ولم تغفل هذه المحاضرات التعريج على الحماسة ومكانتها في تاريخ الاختيارات الشعرية العربية، وطرقت قصيدة الزجل والموشحات الأندلسية.

يمكن القول إنّ هذه الوريقات تأمل في توجيه الطالب والأخذ بيده نحو فهم ظاهرة الشعر العربي القديم تنظيرا وممارسة، لاستثمارها في مواد الشعر العربي الحديث والمعاصر مستقبلا، لأنّ وشائج ثقافية وفنية عديدة تربط مسار الشعر عبر تاريخه الطويل.

المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

الإطار الزماني والمكاني للأدب العربي قبل ظهور الإسلام

1-الأدب المفهوم والمصطلح:

الأدب هو ذلك التعبير الجميل عن الأفكار والحالات الشعورية والموضوعات المتعددة، وهو ما أثر عن الأدباء؛ شعرا أو نثرا. والأدب في أنواعه الأدبية هو كلّ قصيدة أو قصة أو مسرحية، أو رسالة أو خطبة، أو مثَلا أو حكمة، أو رواية ، أو ما إلى ذلك من الأجناس الأدبيّة القديمة أو المستحدثة.

وقد عرفت كلمة أدب تحوّلا ملحوظا في معناهاعلى مرّ العصور، فقد كانت تعني الدعوة إلى الطعام أو ما يسمى المأدبة. قال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

وهو يقصد أن دعوتهم لا تختارا أحدا دون آخر، ومنه فهي دعوة صريحة يصنعها قوم لوليمة أو عرس، ما يدل على كرم وجود أصحابه الداعين إليه.

كما أنّ كلمة أدب كانت تعني قديما الخلق الجميل، يقول صاحب اللّسان: أن الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمي أدبا لأنه يأْدب الن اس إلى المحامد، و ينهاهم عن المقابح، و أصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس مدعاة ومأدُبة،[1] وبالتالي نلحظ بعض التطوّر الدّلالي للكلمة.

وهكذا تمضي كلمة أدب لتدلّ في النهاية على مُجمل العلوم والمعارف والآداب التي تغذي الروح، وتصنع العقل، وتثري التجارب الإنسانية عموما.

على أن مصطلح أدب سوف يعرف مدلولات أعمق وفق مراحل الأدب نفسه، تنظيرا وممارسة سواء أكانت متعلقة بالشعر أو بالنثر في العصور اللاحقة، وهو ما سوف نقف عنده، ونحن نعرض لتاريخ الأدب العربي، ونتتبّع عصوره تاريخيا وثقافيا وفنيا.

2-الأدب العربي قبل الإسلام:

---

[1]- ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، مادة أدب،ج1، ص206.

هو الأدب الجاهلي الذي حدَّده المؤرخون بنحو مائة وخمسين سنة قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وهي الفترة التي عاشها العرب في الجزيرة العربيّة، وقد قسمت قسمين:

أ)- الجاهلية الأولى:

وهي تلك الفترة الممتدة إلى أزمنة غابرة لا يعلم من أمر الأدب فيها شئ؛ لبعدها وانقطاع أخبارها انقطاعا تامّا.

ب- الجاهلية الثانية:

وهي الفترة التي تأتي - زمنيا - بعد الجاهلية الأولى مباشرة، وتشغل نحو مائتي سنة قبل ظهور الإسلام؛ إذ وصل إلينا منها شعر بعض شعرائها أو كثير منه، وتبدأ بزمن نشوء حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب، حيث أقدم الأشعار التي يمكن أن ترجح صحتها.[1]

إنّ البحث في الأدب الجاهلي يخصّ تلك الفترة من ذلك الزمن الممتد قبل الإسلام، وهي تشغل نحو قرنين من الزمان، وقد أجمع المؤرخون على تسميتها بالعصر الجاهلي، وهذا التحديد الكرونولوجي لا ينفي وجود شعر أو شعراء قبل تلك الفترة، وإنما كانت هناك أشعار في شكل مقطوعات، وأراجيز، لم تكتمل بالشكل الذي يؤهلها موضوعيا وفنيا؛ لأن تسمى شعرا، كما وصل إلينا في المعلقات أو بعدها.

ويرى عبد العزيز نبويّ[2] أنّ الجاحظ قد جانب الصواب حينما عدّ الشعر حديث النشأة والميلاد في قوله «... أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له . إلى أن جاء الإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام »[3]؛ مؤكّدا أنّ في الشعر الجاهلي نفسه إشارات دالة على أنّ هناك من مهّد الطريق وساعد في وصول هذا الشعر إلى دائرة الوجود الماثل أمامنا، مستدلا ببيت شعر قاله امرؤ القيس:

---

[1]- ينظر: عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار، مصر الجديدة ، ط3، 2004، ص 16.

[2]-عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي (مرجع سابق)، ص 17.

[3] -الجاحظ ، الحيوان. تح: محمد عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة. ج1. ط2. ص74

عوجَا على الطّلل المحيلِ لأنّنا نبكي الدّيار كما بكى ابنُ خذام[1]

ولا يُعرف عن ابن خذام أو حذام المذكور هنا شيء، سوى أنه شاعر، وقد حُرّف اسمه كثيرا بفعل الرواية والنقل والنسخ، فقيل: ابن حمام وابن حذام وابن حزام.([2]) وهذا كله يدفع إلى كثير من الشكوك في هذه الرواية ككلّ، غير أن كثيرا من الدلائل توضّح حقيقة هامة هي أن الشعر العربيّ عريق جدا، وهام جدا أيضا.

3- مصطلح الجاهلي والجاهلية:

أفرد الباحثون لكلمتي جهل وجاهلية مجالا خاصا، وناقشوا مدلولات الكلمة المختلفة. ويعتقد" أن كلمة جاهلية تدلّ في معناها الصحيح على عصر لم يكن لبلاد العرب فيه ناموس وازع، ولا نبيٌّ ملهَم، ولا كتاب منزّل. فمن الخطأ أن توصف بالجهل والهمجية هيئة اجتماعية امتازت بما امتاز به عرب الجنوب من ثقافة، وحضارة قطعتا في مجال التجارة وشتى الأشغال شوطاً بعيداً قبل الإسلام بقرون كثيرة [3]. وهو رأي شبيه بقول ناصر الدين الأسد الذي ينفي تجهيل الجاهلية:« إن حياة العرب في الجاهلية – فيما بدا لنا– بعيدة كلّ البعد عما يتوهّمه بعض الواهمين، أو يقع فيه بعض المتسرعين الذين لا يتوقفون، ولا يتثبتون، فيذهبون إلى أن عرب الجاهلية لم يكونوا سوى قوم بدائيين، يحيون حياة بدائية في معزل عن غيرهم من أمم الأرض... ونذهب إلى أن عرب الجاهلية الأخيرة كانوا من الحضارة بمنزلة لا سبيل إلى تجاوزها، ولا مزيد عليها لمستزيد...». [4]

وتحُصر الجاهلية عند المستشرق "بلاشير" في ثلاثة أمور هي: القسوة في ملاحقة الثأر، والكرم الصخاب، والسرف في الولع بشرب الخمر ولعب الميسر.

---

[1]- محمد محمد حسن شراب،شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية،ج3،مؤسسة الرسالة بيروت، 2014، ص165

[2] – ينظر: المرجع نفسه

[3]- ينظر: فيليب حتي، تاريخ العرب، نقلا عن عفت الشرقاوي، دروس ونصوص قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية، بيروت، ص 35.

[4]- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف مصر، 1978، ص 18.

أمّا هيوارث دين فيعتقد أنه ليس الغرض من الجاهلية النسبة إلى الجهالة المناقضة للعلم، وإنمّا الغرض منها السفاهة التي كانت مؤدية إلى الهمجيّة، وانتشار الضلالة، وعبادة الأوثان، والإسراف في القتل.[1]

ويرى كثير من الدارسين العرب أنّ الجهل هنا طيشٌ وسفهٌ؛ فهو مناقض للحلم ومكارم الأخلاق، وهم بذلك يتقاطعون مع رأي المستشرق هيوارث دين، مستشهدين بقول عمرو بم كلثوم:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا [2]

كما نجد هذا المعنى في القرآن الكريم، في قوله تعالى: « **خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**» "الأعراف 199"، وقال النبي "صلى الله عليه وسلم" لأبي ذرّ معيّرا إياه: «إنك امرؤ فيه جاهلية». وليس هذ المدلول وحده ما ينسحب على كلمة جاهلية، بل إن لها معاني عديدة أوردها الزبيدي في تاج العروس "مادة جهل" وفي اللسان أيضا، مما يؤكد أنّ إيجاد معنى واحد لها أمر يفتقد إلى الدقة والضبط السليم، لغويّا ومعرفيّا.

ويمكن أن نؤكد بصورة واضحة أنّ العرب كانت لهم ثقافة راقية، ومواقف إنسانية رائدة، بفضل إنتاجهم وإبداعهم لشعر عظيم كالمعلقات مثلا، ما يزال لحد الآن منبعا للقيم السامية، واللغة الجميلة الخافقة، والمضامين الخلقيّة السامقة. فحكاية الجاهلية فيها كثير من اللبس والارتباك، وهو حكم أقرب إلى النظرة العنصرية التي تقلّل من ذكاء العربي وفراسته وحنكته وشجاعته وكرمه وعشقه للحياة والوجود، وهي صفات حاضرة في المسيرة الإنسانية برمتها.

4- الجزيرة العربية قبل الإسلام:

4-1- جغرافية النصّ:

يبدو أنّ تسمية شبه الجزيرة العربية لها علاقة بعالم الجُزر ومكوناته، لأن المياه تحيط بها من ثلاث جهات، وهي أكبر جزيرة على وجه الأرض، فهي أكبر من شبه جزيرة الهند. ورغم هذا التوصيف بالجزيرة إلا أن هناك من يقول أنه من قبيل التجوّز، فالماء لا يحدها من جهة

---

[1]- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي(مرجع سابق)، ص 17.

[2]-الزوزني، شرح المعلقات السبع، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت، 2013، ص184.

الشمال،[1] وهي منطقة – تاريخيا– تعدّدت فيها الشعوب، وتعدّ مهد الجنس السامي[2]، وتقدر مساحتها بحوالي ربع مليون ميل مربع. أمّا حدودها، فنجد شرقا الخليج العربي وبحر عمان، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر، وأما حدودها الشمالية فغير واضحة المعالم، وتعدّ صحاري الشام والعراق بكاملها جزءا لا يتجزأ من الجزيرة العربية من الناحية الجيولوجية. كما تعدّ جزءا من الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، حيث كانت بعض القبائل تقيم فيها، ومن ثمّ فإن هذه المناطق التي أُقيمت فيها إمارة الحيرة، وإمارة الغساسنة تُعدّ جزءا من الجزيرة. [3] .

وثمة تقسيمات كثيرة لجزيرة العرب، فلليونانيين تقسيمهم، وللرومان أيضا، أمّا جغرافيو العرب فيفصلون شبه الجزيرة ويعلّمونها خمسة أقسام: الحجاز وتهامة واليمن والعَروض ونجد،[4] وتهامة هي منطقة ساحلية قريبة من البحر الأحمر من جهة الشمال إلى الجنوب، تمتاز بالضيق، ولا تزيد المناطق المتسعة فيها على أربعين أو خمسين ميلا من الغرب إلى الشمال. وتسمى تهامة أحيانا "بالغَوْر" لانخفاض أرضها[5].

وثاني هذه المناطق العروض؛ وهي تضمّ اليمامة والبحرين، وما جاورهما، وتمتاز بمرتفعاتها وأغوارها؛ لقربها من سطح البحر، وتزداد ارتفاعا كلّما اتجهنا غربا. ويذكر ياقوت الحموي في معجمه أنّ اليمامة من نجد، وتمتد البحرين من البصرة إلى عمان، وتشمل حاليا دولة الكويت والأحساء، وجزر البحرين وقطر الإمارات، والقسم المطلّ على مضيق هرمز من سلطنة عُمان، أما اليمن فقيل إنه سُمي كذلك؛ لأنه على يمين الكعبة الشريفة [6]، ويُطلق على جنوب الجزيرة العربية، ويقع جنوب الحجاز، وهو قطر قديم اشتهر بالغنى والثروة والحضارة. يشمل حضرموت والشجر ومهرة وعُمان، وقد يُطلق على الزاوية الجنوبية من الجزيرة.

---

[1]–محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط198،4/2، ص163.

[2]– ديزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995، ص 13.

[3] –عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي(مرجع سابق)، ص19

[4]– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ص150.

[5]– ينظر: عبد العزيز نبوي، دراسات في الشعر الجاهلي، ص21.

[6]– محمد بن عبد المنعم الحِميَري، الروض المعطار في خبر الأقطار (مرجع سابق)، ص163.

4-2- القبائل العربية:

تأسس المجتمع الجاهلي على القبلية؛ إذ ترسّخت هذه العقلية في الوجدان والعواطف، وكان لها حضور قوي في تجمعات الناس، الأمر الذي جعلهم يهتمون ويركّزون تفكيرهم على وحدة النّسب، وعليه كانت عناية العرب القدماء بأنسابهم ظاهرة لافتة للعيان، والدليل على ذلك كثرة ما تردّده المصادر العربية التي تناولت أنساب العرب، ويمكن أن نسوق في هذا المجال مجموعة من المصنفات منها: "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم، و"معجم الأدباء" لياقوت الحمويّ، و"الفهرست" لابن النديم، الذي ذكر فيه كثيرا من الشواهد عن الأنساب، وغيرها من أخبار العرب وعلومهم وآدابهم، وهذا يؤكد أن للشعر العربي جذورا متنوعة كثيرة .

تتناول هذه المصنفات أنساب العرب منذ أن انحدروا من صلب آدم عليه السلام، وتذكر قبائلهم وعشائرهم، وتوضّح أواصر القُربى التي ربطت بينهم، وتؤكد أصلهم الواحد المشترك بفضل المصاهرات، أو انفصال عشيرة عن أصلها، والتحاقها بقبيلة أخرى، والملاحظ في هذا العلم وجود أمرين لافتين [1]:

1- اتصال النسب بلا انقطاع ولا نقص، من الأصل العدنانيّ والقحطانيّ، ثم استمراره في ذكر القبائل المتفرعة عموديا وأفقيا حتى آخرها، وقيام الأنساب على رابطة الأبوة؛ أيْ أنّ أصل تسمياتها مأخوذ من أسماء الآباء المنحدرين من القبائل من مثل: بكر، وتغلب، والأوس، والخزرج، ونحوها من أسماء القبائل العربيّة المشهورة التي كان لها دور فعال في كثير من أوجه الحياة العربية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ووفقا لعدد من الدراسات فإنّ الأصل العربي يتوزّع على ثلاثة أقسام: عرب عاربة أو عرباء، وعرب متعرّبة، وعرب مستعربة.

4-3- العرب العاربة:

وتسمّى عربا بائدة؛ لأن قبائلهم بادت، واضمحلّت، ولم يبق منه إلا فلول انصهرت في قبائل أخرى[2]. وذكر صاحب المُزهر أنهم تسع قبائل من أبناء إرم بن سام بن نوح، وهي عاد وثمود

---

[1] -ينظر: عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي(مرجع سابق)، ص22

[2] - دزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، (مرجع سابق)، ص21.

وأميم وعبيل وطسم، وجديس، وعمليق وجرهم ووبار. ويتفق في العدد نفسه كل من جرجي زيدان[1]، وابن دريد[2] في الجمهرة.[3]

4-4- العرب المتعرّبة ويسمّون الباقية، هم عرب الجنوب؛ القحطانيون، نسبة إلى يعرب بن قحطان. أما تسميتهم بالمتعربة، فلأنهم أخذوا العربية عن العرب البائدة أو العاربة. ويذهب "السيوطي" إلى أنّ هذه التسمية دليل على أنهم ليسوا خُلّصا. يقول ابن دحيا:" وهم الذين ليسوا بخلص، وهم بنو قحطان. [4]

4-5- العرب المستعربة:

وهم الذين يُنسبون إلى إسماعيل وأبنائه، ويقال لهم الإسماعيليون والعدنانيون، وكذلك المعديون والنزاريون [5]، ويقال أنهم وفدوا إلى الجزيرة العربية من البلاد المجاورة، واختلطوا بأهلها فتعرّبوا.

وكانوا قبائل وأمما في تهامة، ومنها انطلقوا إلى الشام والحجاز ونجد. ويقسم النسابون عرب عدنان إلى فرعين كبيرين [6]، هما مضر وربيعة. وكان بينهما عداء شديد، ويقال أنّ الشعر وصلنا من عرب الشمال.لامن عرب الجنوب.

5- شعر العرب قبل الإسلام: مقاربة موضوعية

الأدب جزء من الحياة الاجتماعية، لذا فعمره هو نفسه عمر الإنسان وجماعته الإنسانية، لذلك كان من الصعب أن يقرر الباحث نقطة بداية أي شعر في أية أمة من الأمم، وعلى الرغم من كون الرجز -كما تشير إلى ذلك عدد الدراسات- من المرجح أنه أصل للشعر وميزانه، كما يرى ذلك ابن رشيق، فإنّ بعض الدراسات ترجع الرجز نفسه إلى بداية اقدم هي نغمات سجع الكهان، كما يعد ربط الشعر بالغناء والعمل وتربية الأبناء وبالصيد، وغير ذلك من المظاهر الاجتماعية الأدب جزء من الحياة الاجتماعية، لذا فعمره هو نفسه عمر الإنسان وجماعته الإنسانية، ولذلك

---

[1]- جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، 1966، ص35.

[2] - السيوطي، المزهر،(طبعة دار الكتب العربية) 31/1.

[3] - الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص ص322، 323

[4] -المصدر نفسه، 31/1.

[5] - ينظر : أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط10، ص ص24-27.

[6] - ينظر: جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ص 226 -235. وأحمد أمين، فجر الإسلام، ص7.

أيضا كان من الصعب التعرف على نقطة بداية الشعر، وعلى الرغم من كون الرجز -كما تشير إلى ذلك عدد الدراسات- من المرجح أنّه أصل للشعر وميزانه، كما يرى ذلك ابن رشيق، فإنّ بعض الدراسات ترجع الرجز نفسه إلى بداية أقدم هي نغمات سجع الكهان، كما يعدّ ربط الشعر بالغناء والعمل وتربية الأبناء وبالصيد، وغير ذلك من المظاهر الاجتماعية، اقترنت نشأة الشعر منذ أقدم العصور برحلة العمل الجماعي، سواء أكان في رحلة للصيد، أم لجني الثمار، أو بتأدية عمل لا يمكن أن يؤديه فرد واحد. إن العمل الجماعي يوحّد الأفراد، ويقلل من تعبهم ويقرب من تحقيق هدفها [1]، وقاد هذا إلى التحام حركات الأفراد فكانت قوة الإنجاز العملية، لذلك كانت أغنيات البدائيين نداءات عالية تسمع الجميع، وكان إيقاعهم تنظيماً لحركات الأداء العملي الجماعي[2] وتولّد من العمل الجماعيّ محاولات إيقاعيّة مسّت انتظام الكلمات بطريقة معينة؛ لأنّ هذه الحركات الإيقاعية » تيسر العمل، وتنسق الجهد، وتربط الفرد بفئته الاجتماعيّة الشريكة في الجهد المبذول كما أن كل انقطاع في الإيقاع يحدث خللا في عمليّات الحياة وما تتحرك فيه من نشاطات حيوية وهكذا نجد الإيقاع جزءا حالا في الفنون، كونه تكراراً لعنصر ثابت، وتناسباً وتناظراً. مثلما اشارت إلى ذلك كثير من الدراسات الحديثة.[3]

استقبل عدد من الدارسين الشعر العربيّ المرويّ ببعض الشك الذي نجده عند الجمحيّ وهو يثير قضية الانتحال الذي تناولته كتابات المستشرقين في العصر الحديث بكثير من التضخيم كاد ينسف التراث كله، كما كان كتاب طه حسين"في الشعر الجاهلي" في الطريق نحو إنكار شعر العرب المروي عن عرب ما قبل الإسلام، وهو مما دفع إلى تحريك العواطف القومية أحيانا والجهد الفكري أحيانا، وبالرجوع إلى منطق الأمور فبالتأكيد لا بد أن للعرب كما لغيرهم في كل العصور فنونا وآدابا تدلان عليها، ويمكن للذاكرة أن تقدم لنا منها الكثير تقديما تارة يكون أمينا بنسبة معقولة وتارة أخرى قد تعجز عن ذلك، وهو ما يتطلب كثيرا من البحث والتدقيق المنهجيين.

---

[1] – عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، دار التنوير القاهرة،ط2012/1، ص48.

[2] – المرجع نفسه، ص 48.

[3]–عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ط2، دار العلم للملايين، 1986م، ص19

وذكر طه حسين أن الشعر العربي المرويّ لا يمثل لغة الجاهليّة، ولا يوجد فيه الفرق المعروف بين لغة حمير ولغة عدنان، كما أنه لا يقدّم صورة عن اختلاف اللهجات العدنانيّة، ثم يضيف بأنّ لغة اليمن مختلفة عن لغة قريش، وأنّ شعراء المدينة لم يكونوا يوما يمنيّين كونهم مضريين، وانطلاقا من كون الانتحال عاما لا يخص أمة بعينها أو لغة من اللغات فقد أجمل أسباب ظاهرة الانتحال في السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة،[1] وكان في تناول كلّ تلك المعطيات مراجعة التراث قد حاول إنجاز مراجعة علميّة دقيقة لتمييز الصحيح الأصيل من المنحول الزائف، وأهمّ ما ركز عليه الباحثون في قضية الانتحال، ولعلّ أبرز اعتراض من طه حسين كان على شعر امرئ القيس الذي كان يمنيّا غير أن لغته كانت شمالية وفي ذلك تجنّ على الشعر في كلام طه حسين وعلى الشاعر؛ إذ الشعراء شماليهم وجنوبيهم كانت لغة الشمال هي لغة شعرهم.[2]:

- انعدام المخطوطات التي تؤكّد صحة نسبة الأشعار
- وجود رواة مشكوك في أمر أمانتهم
- انشغال العرب بالفتوح وتدوين الشعر بعد موت كثير من حفظته.
- استقلال بعض العرب ما حفظوه من شعرائهم وانتحال الكثير بدافع التفاخر القبلي.
- دور النحاة في الانتحال لوضع شواهد شعرية تؤكد ما ذهبوا غليه في تقعيداتهم اللغوية.
- تناقض الروايات حول بعض الشعراء.[3]

غير أنّه بالرغم من كل ذلك فقد حفظت الذاكرة العربية كثيرا من الشعر الصحيح الذي يمكن الاطمئنان إلى صحته، خاصة بفضل الغربلة التي أنجزها نقاد عارفون بعملهم قادرون على ردّ النصوص إلى مظانها الصحيحة من أمثال ابن سلام وغيره. ويمكننا أن نعرف كثيرا من ذلك في ما قاله الفرزدق:

وهبَ القصائد لي النوابغ إذ مَضوْا و(أبو يزيد) و(ذو القروح) و(جرْوَلُ) [1]

---

[1] – ينظر: طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق القاهرة، ط3/ 1352-1933، ص ص 113-176

[2] – ينظر: شوقي ضيف، سلسلة تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، دار المعارف، ط11، ص248

[3] – جرجي زيدان، تاريخ اداب اللغة العربية، ج1، التمهيد.

والفحل (علقمة) الذي كانت له حُلل الملوك كلامُه لا يُنحَل

و(أخو بني قيس) وهنّ قتلْنه و(مهلهل) الشعراء ذاك الأول"[2]

ومن الطبيعي أن تتأثّر فنون كلّ أمة بخصائصها العامة مجتمعا وبيئة وتاريخا وثقافة، لذلك كان الشعر اليوناني مثلا قصا ومسرحا وتمثيلا ومسارح، بينما انحصر مجال الشعر عند العرب في الأغراض المعبرة عن الوجدان والأيام والبطولات، فكان المدح والغزل والحماسة من أبرز الأغراض التي تميز مسار شعر العرب القديم، مما دفع النقاد إلى نعت هذا المنتج الشعري القديم بأنه دون ما ينتجه المخيال اليوناني مثلا.[3]

ويشير بعض الدارسين إلى الفرق بين لغة الحياة ولغة الشعر في حياة العرب القدامى الأدبية، وإلى أن لغة الشعراء تتقارب منطلقة من محفوظاتهم لأشهر القصائد يمكن القول إنها صيغت بلغة فنية مختلفة عن اللغة المعروفة بعض الاختلاف مع استيعابها للهجات وتجاوزها مع استيعابها لكل خصائص الأصل السامي، وكلّ ذلك جعلها أكثر اللغات مرونة ودقة تعبير.[4]

4 – مظان الشعر العربي القديم وأفكاره:

لا يمكن الاطمئنان إلى أن الشعر العربي قد تحقق له بناؤه الفني الناضج المتجلي في عدد من التفعيلات والأشطر والأوزان دفعة واحدة وبصورته المعروفة التي ألفينا فيها المهلهل قد أنجزها – وفقا لما قاله الفرزدق وأشاد به – مما يدفعنا إلى تصور أهمية الخبرة الطويلة التي عاشها النص حتى يصل ذلك المستوى الفني الفكري المصفى. لذا "لا بد من الرجوع إلى المناطق الحضارية الكبرى القريبة من شبه الجزيرة العربية في العراق واليمن ومصر والحبشة ... ففي هذه المناطق

---

[1] – بعد ذكر النوابغ كالنابغتين الذبياني والجعدي، ورد اسم المخبّل السعدي؛ فقد جاء في "الأغاني: أخبار المخبل ونسبه " أن كنيته هي (أبو يزيد)، أما ذو القروح فهو امرئ القيس وأما جرول فهو الحطيئة.

[2] – ديوان الفرزدق، ج2 ، ط1، 1983، شرح إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ص323

[3] –ينظر: نصر محمد عباس، النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العلمية، دبي، ط2016/1، ص ص 148–150

[4] – كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تح: إبراهيم النجار، دار المعارف، 1977، ص ص42–43

وُجد عدد من الآثار المكتوبة التي تبين الأصول الهامة الأولى التي تفرعت عنها اللغة العربية وفنونها وثقافاتها.[1]

والشعر قديم في كلّ أمة من أمم الدنيا، خاصة وأنه يكاد يكون مصاحبا للغناء والإنشاد، ولقدم الغناء وشدة اتصاله بوجدان الإنسان، لذلك نجد العرب تقول فلان أنشد الشعر ولا تقول قرأه، ومن هنا ندرك صلة الشعر بالجانبين الصوتي والشفوي؛ أي بالغناء والرواية.[2]" ومن حيث اللغة فإنّ الغناء والإنشاد يدلّان على شئ واحد، هو "أداء الشعر بالصوت الجميل المطرب" لكنّنا وجدنا الأمر في العصور المتأخّرة قد تغيّر؛ فقد استقل الإنشاد عن الغناء، وأصبح دالّا على الغناء الدينيّ، [3] ثم إنّ أسماء بعض البحور هي في الأصل أسماء لأنواع من الغناء كالخبب الموافق لخبب الفرس...[4]، مثلما أنّ الهزج غناء خفيف نشط راقص[5]؛ كمّا أنّ الشعراء كانوا يحرصون على عرض أشعارهم في أجمل الأصوات العارفة بالغناء الجيّد، وفي ذلك يقول قدامة: "ومما يزيد في حسن الشعر، ويمكّن له حلاوة في الصدر حسن الإنشاد وحلاوة النغمة"[6] ، أمّا حسّان بن ثابت فيقول مبرزا أهمية الغناء وقوة ارتباطه بالشعر:

تغنَّ بالشعر إما كنت قائله إنّ الغناء لهذا الشعر مضمار[7]

ومما يؤكد قدم الشعر في تاريخ العرب وعراقته أن شعراء جاهليين كثيرين قد عبروا عن حيرتهم معترفين بعجزهم عن الابتكار، كما نجد ذلك في قول زهير بن أبي سلمى الذي يعترف بفضل الشعراء السابقين:

ما أرانا نقول إلا مُعارا أو مُعادا من قولنا مَكرورا [1]

---

[1]– المرجع السابق، ص96

[2] – المرجع نفسه.

[3] عباس المناصرة، الشعر والغناء والإنشاد في حياة العربي، المجلة الثقافية الجزائرية، 2019/08/13، تصفح يوم 26 ديسمبر 2021

[4]– جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص99

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص101

[6] – قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العربية، بيروت، (1402 هـ– 1982م)، ص90

[7] – الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص23

أو في قول عنترة في مطلع معلقته:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم.[2]

وفي قول امرئ القيس:

عُوجا على الطلل المُحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خِذام[3]

مشيرا في ذلك إلى أن البكاء على الطلل لم يكن مبتدعه، حتى وإن شهد له النقاد بالإبداع فيه، ويقدم لنا جرجي زيدان كلمة في هذا الشأن ذات أهمية قصوى حين يرى بأن الشعر العربي قد بدأ بسفر أيوب خلال القرن العشرين قبل الميلاد، أي من خلال الكتاب المقدس الذي عالج موضوعات الحياة والموت والإنسان وما غليها بأسلوب جمالي قريب من روح الشعر[4]. وهذا يؤكد عراقة الشعر العربيّ وأهمية دراسته.

وبقراءة بعض الآيات الكريمة يمكننا معرفة بعض الإشارات إلى حضارات العرب القديمة التي سبقت الإسلام ((كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ: أَلَا تَتَّقُونَ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما اسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ...)) (الشعراء141-149)، فذكر البيوت والحال فارهين يدلان على استقرار ورفاهية[5]، غير أنّ الإنسان العربي المسلم- كما رأى أحد الدارسين الغربيّين- راح في غمرة اعتزازه بالإسلام وتحمّسه له، يبالغ في ذم المرحلة التاريخية الطويلة التي سبقت الإسلام، متجاهلا ما حققته العرب خلالها وهي تتفاعل مع عدد من الشعوب والثقافات والحضارات [6]

---

[1] – شاع عن زهير أنه شاعر الحوليات، وقد لا يعني ذلك بالضرورة أن ينقح شعره عاما كاملا فمن المنطقي أن يدوم التنقيح عاما أو أكثر أو أقل، وبذا فالحولي معناه المنقح عموما .

[2]– الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص111

[3]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 67

[4]– جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص40

[5]– ينظر شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف القاهرة، ص112

[6] – محمد نجيب البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ص7

إن هذا الحكم المتسرع على مرحلة هامّة من التاريخ الإنساني عامة والعربي خاصة، يدعو الباحثين إلى مراجعة هذه المرحلة التاريخية لتبيّن خصائصها. وبالنظر إلى الشعر الذي أنتج في المرحلة السابقة للإسلام يتبين مدى إلمام العرب وشعرائهم بالمعاني والتصورات حتى قال الأصمعي مشيرا إلى مجموعة من الشخصيات الأدبية التي كان لها دور ريادي في تخصصات تعبيرية معينة: "ذهب أمية[1] في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عُمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب"[2]، وهذا يعني أن الشعراء العرب في الجاهلية قد ألموا بالمعاني التي تلخص حياة الإنسان في مراحل الشدة والرخاء والمادة والروح.

وانطلاقا من هنا أثيرت قضية بداية الشعر العربيّ ومراحل اكتمال بنياته الفنية المعروفة، ومن الطبيعيّ أن تختلف الآراء وتتنوع الاجتهادات في التحديد الدقيق لبداية الشعر العربيّ، فالجاحظ يراها قرنين على أكثر تقدير، وقدّر الأصمعيّ عدد الأبيات التي بلغها العربي في بداية الأمر بثلاثين، مرجعا البداية إلى أربعة قرون سبقت الإسلام، كما لعبت العصبيّة بالأهواء في تحديد أوائل الشعراء، وأكد الحاتميّ [3] أنه من الصعب تحديد بداية للشعر.[4]

وبذلك يظل هذا الموضوع مفتوحا للنقاش والحفر، خاصة وأن الرقيّ الشامل في الجوانب الأسلوبية والمعاني يدل على رقيّ شامل سابق. فقد "كان للعرب في جاهليتهم الأولى نصيب وافر من الحضارة والعمران، لم يكتب للمتأخرين منهم أن يشهدوا ما شهده أوائلهم، بل إنهم شهدوا عصر الانحطاط والضعف والتخلف نسبة إلى ما كان عليه أسلافهم الأقدمون ... قال تعالى ((**لَقَدْ كَانَ**

---

[1] – ذكره صاحب الأعلام بقوله: ابن أبي الصلت (ت5 هـ= 626 م) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الاسلام. وكان مطلعا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبدا. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية.

[2] – يحي الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص 184

[3] –هو ابن المظفر الحاتمي(ت388هـ)، صاحب كتاب"حلية المحاضرة". ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، مؤسسة الرسالة بيروت، ط11، 1996/1417، ص195

[4] – أدونيس، الثابت والمتحول، ج2– تأصيل الأصول، ط4، دار العودة بيروت، 1986، ص44

لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)) (سبأ15).[1]

ويُمكننا بالدراسة العلمية والبحث في التاريخ أن نتبين الواقع المناقض للأوصاف الهمجية التي تطلق هنا وهنا من غير تفكير وتدبر؛ ذلك أن الآيات القرآنية نفسها قد ذكرت لنا مستوى من التفكير والاحتجاج والشك لا يمكن العثور عليها إلاّ في أناس يمتلكون القدرة على التفكير والنقاش والنقد، فلا عجب بعد ذلك في أن يكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري:"مُرْ مَنْ قِبَلَك بتعلّم الشعر؛ فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب." ومن هنا ندرك أن التواصل هو الأصل في العلاقة بين مرحلتي الجاهلية والإسلام، لا القطيعة؛ خاصة وأنّ المسلمين رأوا في شعر ما قبل الإسلام ثروة ثقافية ضروريّة لتمكين المسلم من استيعاب القرآن والدين والفن جميعا.

إن هذه الحقيقة التي أكدت إسهام العرب الحضاري الإنساني العريق يجب ألا تنسينا حقيقة واضحة؛ هي أن ما أنجزته العرب في حضارة الإسلام أقل أقل ممّا حققته من قبل؛ لأن إنجازها الأول ذو بعد ماديّ في الغالب في حين أن إنجازها الإسلامي روحي في أكثره. وبالرغم من كزن اللغة العربيّة اللسان العبقري الذي احتوى روح حضارة الإسلام فإن البون شاسع بين "عربية الجاهلية " و"عربية الإسلام" التي تعمقت روح الإنسان وشقت عوالم جديدة، وأضحت في فترة قصيرة لغة العالم المتمدّن، ولغة المدنية والحضارة، بعد أن صاغ الإسلام معنى إنسانيا غير عرقي لعلاقات المسلم وللعروبة نفسها حين احتواها بقوة روحه، وبعد أن رضيت بالانتماء إليه وإلى لغته كثير من القوميات. والفرق شاسع بين العربيتين، بالرغم من أن الجاهلي حاول فرض ذاته على الأقل في منطقة واسعة، إلا أن محليته غلبت عليه.

لقد كان هذا الدور الرائد الذي أنجزته العربيّة سببا في قول جرجي زيدان:"... واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم فالمتكلمون باللغة الفصحى ... لا يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن أو قرنين فقط...إذ لا يتأتى للغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ المتمدنين إلا بتوالي الأدهار فكيف باللغة العربية الدالة على سموّ مدارك أصحابها وسعة تصوّرهم

---

[1] – يحي الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص21

ودقة نظرهم...فإذا صح أن دولة "حمورابي" التي تولت بابل وسائر بلاد العراق في القرن العشرين قبل الميلاد عربية ...كان العرب من أسبق الأمم إلى المدنية والعلم".[1] وبذلك فقد كانت العربية على صلة بالمنابع الحضارية القريبة والبعيدة، لذلك استطاعت التفاعل مع الأفكار الإنسانية الجديدة التي قدمها القرآن الكريم للإنسانية جمعاء.

وبالنظر إلى الطريقة التي تبنى بها قصيدة الجاهليين وتصمم نستطيع القول بأن الشعر عندهم كان بناء دقيقا مفصلا مصنوعا مؤلفا تأليفا، وهذا هو التصوّر الذي كان عند اليونانيين؛ ذلك أن الشعر بحسب قائم على وضوح الأسلوب اللغويّ في غير ابتذال ويتم ذلك بالابتعاد عن اللغة العادية والعامية ، أي باستخدام الكلمات التي لم يألفها المتقبّل. [2]

إنّ دراسة الأدب العربي الذي أبدعته العرب في الفترة التي سبقت الإسلام حق وواجب: حق لأن الذاكرة الفنية ملك كل واحد منّا وواجب لما تنطوي عليه من قيم إنسانية وفنية رفيعة تم اكتمالها النسبي قبل قرنين كما تشير الدراسة القديمة المعروفة لكن مكابدتها كانت أعرق من هذه المدة وهذا هو منطق الأشياء.

ولقد تفطّن القدماء لهذه الحقيقة فهذا عمر بن الخطاب يقول: كان الشعر علم قوم، لم يكن لهم علم أصح منه.[3] وهذه الصحة تعني معرفة وقواعد دقيقة ومعنى ذلك أن العربي لم يكن يطلق الكلام على عواهنه، بل كان يلتزم بمجموعة من المحددات التي استنبطها من محفوظاته، وهوممما يبرز طول دربة العرب في الشعر وأغراضه، وتحوله إلى معرفة ذات أصول، فلاعجب بعد ذلك في أن تتأثّر الأمم المجاورة للعرب بالشعر العربيّ، وتتخذ أوزان العرب أوزانا لأشعارها بالرغم من وجود أوزان لهم قديمة، ومن الواضح أنهم قد وجدوا فيها سهولة وانسيابا ونغمية وعمقا في التأثير لم يجدوه في أوزانهم التي كانوا يعرفونها.[4]

---

[1] – جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص39

[2]– ينظر: أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلومصرية 1983، ص189.

[3]–ينظر: ابن سلام الجُمَحي(139–231هـ)، طبقات فحول الشعراء، تح: أبي فهر محمود محمد شاكر، دار النشر المدني بمكة، ص261

[4]– عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ط3، دار المعارف بمصر، ص106

ومن الطبيعي والمنطقي أن إتقان الشعر وما يقوم عليه من جوانب في المعنى والإيقاع والصورة لم يتم بين عشية وضحاها، بل كان نتيجة دُربة طويلة وعصور متتالية وتراكمات كثيرة، وهذا ما نجده في غشارة ابن قتيبة بقوله:" لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة"[1] فمن طبيعة الأشياء فنًّا كانت أو بناء أو علمًا أن تبدأ بسيطة، ثم تنمو وتتطوّر لتفتح المجال لمراحل من التطور.

[1]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 51

المحاضرة الثانية: المعلقات مضامينها وأساليبها

للمعلقات أسماء كثيرة هي: المذهّبات والسموط والمشهورات، والمشهورة والطوال والجاهليات، وهي عند الباقلانيّ صاحب كتاب "إعجاز القرآن" السبعيّات، نسبة إلى عدد أصحابها[1]، وسمّاها ابن قتيبة "السبع".[2]

فقد تعددت تسميات هذه القائد المأثورة عند العرب لكن التسمية التي تبدو اقرب إلى وصفها هي المطولات، لأن قضية التعليق في كثير من الدراسات. فانطلاقا من الرقم سبعة كانت تسميتها السبعيات، والرقم سبعة نفسه يفرض التساؤل في هذا الموضوع، لما في هذا الرقم بالضبط من بعد سحريّ يجعل المعلقة ذات صلة بعالم الأسطورة والقداسة،[3]، كما أنه يثير كثيرا من التفسيرات التي تناولت الشعر مركزة على بعده الماورائي، الذي يذكر شيطان الشعر، وعلاقة الشعر بالجن ووادي عبقر والسحر.

وبعضهم يرى أن "حماد الراوية" (ت155هـ أو158هـ) هو أوّل من جمعها مما كان متاحا في حافظته، والمرجح أن اختيار القصائد من الرصيد العام لتكون نماذج متبعة كان تقليدا اقدم من زمن حماد الراوية، فقد ذكر عبد القادر البغدادى أن معاوية بن أبى سفيان قال: « قصيدة عمرو بن كلثوم، وقصيدة الحارث بن حلّزة، من مفاخر العرب، كانتا معلقتين بالكعبة دهرًا».[4]

ومن الغريب أن ابن خلدون يقدم إشارة لافتة للنظر في موضوع المعلقات حين يقول: "اعلم أن الشعر كان ديوانا للعرب، فيه علومُهم وأخبارهم وحكمهم...وكان رؤساء العرب متنافسين فيه، ... يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر، لتمييز حوكه، حتى انتهوا إلى المناغاة[5] في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حجهم،

---

1 – الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ص 32، 33

2– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص167

3– جابر عصفور، غواية التراث" كتاب مجلة العربي"، ص32

4 – البغدادي "عبد القادر بن عمر" ، خزانة الأدب، ج3، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي 1997، ط4، ص181

5 – جاء في لسان العرب: الجبل يناغي السماء أي يدانيها لطوله، ومناغاة الشعراء هنا تنافسهم

وبيت أبيهم إبراهيم؛ كما فعل امرؤ القيس بن حجر، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة، والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع. فإنه كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها، من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيّته، ومكانه في مضر..."[1]

وبذلك يلتفت ابن خلدون إلى تخليد النص من خارج مكوناته، مبرزا تدخل القبيلة ومكانتها في تحديد مكانة الشاعر وقصائده.

فالمعلقات إذن قصائد مطولة مأثورة عند العرب، كما أنها جزء من مثلهم الجماليّ الأعلى، غير أننا ينبغي ألا نتصور ذلك كله خارج توجيه المؤسسة. وتكريسها - لأرقى ما وصل إليه شعر ما قبل الإسلام؛ ذلك اللشعر الذي بقي لقرون كثيرة مثار إعجاب الشعراء والنقاد.

فالمطوّلات عند ابن خلدون سبع إذن، وهي وإن اتصلت بتنافس الشعراء في سوق عكاظ، إلا أن تعليقها حددته منزلة الشاعر، ومنزلة قبيلته في مضر، وبذلك فهو يرجع التعليق إلى أسباب خارجة عن النص، الأساس فيه حسب رأيه العصبية. واللافت للنظر في كلمة ابن خلدون هو إيراد "علقمة الفحل" الذي لم يكن من أصحاب المعلقات في معرض حديثه عن المعلقات وأصحابها، وكأنه يراه جديرا بأن يكون من أصحابها.

وكلمة ابن خلدون تؤكد سموّ المنزلة التي كانت للشاعر في قومه؛ فقد كان "...أرفع قدراً من الخطيب، وهم إليه أحوج؛ لرده مآثرَهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ..."[2] قبل أن يتحوّل إلى مادح متكسّب، وقبل أن يفرض النثر نفسه في الحياة السياسية، ولعل كثرة الشعراء قد كانت من العوامل التي جعلت الحياة الأدبية تعرف هذا التحوّل من سيادة الشعر إلى سيادة مشتركة أحيانا وإلى سيادة النثر أحيانا أخرى.

مجموعةٌ من أروع قصائد شعراء الجاهلية، قيل في تسميتها بالمعلقات عدة آراءٍ منها أنهم انتقوها من شعر فحولهم، وذهَّبوها على الحرير، وناطوها بالكعبة تشريفًا لها، وتعظيمًا لمقامها، قال (ابن عبد ربه): « وقد بلغ من كلف العرب به - أي بالشعر - وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع

---

[1] - ابن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص 1122

[2] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج4، تح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1418-1998، ص83

قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بأستار الكعبة. فمنه ما يقال له: "مذهبة امرئ القيس" و"مذهبة زهير". والمذهبات السبع، ويقال لها: المعلقات.[1]

ويذكر كذلك أن العرب استحسنوا المعلقات وفضّلوها، فكتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة، غير أن عددا من الدراسات المعاصرة رأت أمر تعليقها على الكعبة أسطورة من أساطير العرب، وهي بذلك تؤكد رأي جماعة من كبار الباحثين القدامى الذين لم يذكروا ذلك؛ كالمبّرد والجاحظ وأبي زيد القُرشي صاحب الجمهرة الذي يسميها السبع الطوال، متجاهلا أمر التعليق، كما لا يشير إلى أمر التعليق شراح المعلقات كالزوزنيّ والأنباريّ والخطيب التبريزيّ، فهم يسمونها الطوال والقصائد والمذهَّبات[2]

وفي الموضوع نفسه يقول الثعالبي:"العِلق النفيس من كلّ شيء"[3] وجاء في لسان العرب: " ... وعلق الشيء علقا وعلق به علاقة وعلوقا : لزمه. وعلقت نفسه الشيء، فهي علقة وعلاقية وعلقنة: لهجت به..." وهذا منطبق على المعلقات التي لزمتها العرب وتعلقت بها ولهجت. [4] لكنّ الأهم في كلّ هذا أن هذه القصائد – التي هي في حقيقة أمرها ينطبق عليها اسم القصائد الدواوين – أعلقوها أم لم يعلقوها، أكتبوها بماء الذهب أم بحبر عاد– هو أن العرب قد سما ذوقهم الحضاري إلى درجة من الصفاء والرقي جعلهم يقدسون النصّ الشعريّ أو يقتربون من تقديسه، وهذا أمر نادر في الأمم الحية القديمة وحتى الحديثة، وهكذا تبدو التسمية الأقرب إلى واقع حال هذه القصائد هي"المطولات"؛ لأن تعليقها كان وما يزال محلّ تباين في الآراء واضح.[5]

ولقد كان تحديدها جزءا من تنافس القبائل وتفاخرها؛ لهذا فهي عند صاحب الجمهرة وصاحب المفضّليات سبع، لكلّ من امرئ القيس وزهير بن أبي سُلمى والنابغة الذبياني والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد، ومن شراحها من جعلها ثماني مطولات لكل من امرئ القيس

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص118

[2] – الزوزني، شرح المعلقات السبع، ط 1966، ص 32

[3]– الثعالبي" ت 430 هـ"، فقه اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص18

[4]– ينظر لسان العرب لابن منظور، ص ص 3085–86

[5] – ينظر: محمد الصديق بغورة، في النص الشعري العربي القديم وقضاياه، ط1، الماهر العلمة 2018، ص ص21–34

وزهير والنابغة الذبيانيّ والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة وعنترة، ومنهم من رآها عشرا مع اختلاف في الأسماء والرتب حتى أننا النابغة – وهو حكم الشعراء– لا يلحق بأصحاب المعلقات السبعة، بالرغم من كونه ذا اتجاه فني في المدرسة الأوسيّة [1] مدرسة الأسلوب واللفظ والتصوير؛ هذه المدرسة التي يلخصها الحطيئة بقوله على الرجز:

فالشعر صعب وطويل سلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلّت به إلى الحضيض قدمه

والشعر لا يسطيعه من يظلمه

يريد أن يُعربه فيُعجمُه [2]

وهو كلام يبرز مدى عمق رؤية العرب ودقتها عامة في مفهوم الشعر الذي صار جزءا هاما من ثقافتهم.

ويرتّب الزوزنيّ أصحاب المعلقات كما يلي: امرؤ القيس، فطرفة بن العبد، فزهير بن أبي سُلمى، فلَبيد بن ربيعة، فعمرو بن كلثوم، فعنترة العبسيّ، فالحارث بن حلزة، ثم يلحق على الترتيب: الأعشى ميمون، فالنابغة الذبياني، فعَبيد بن الأبرص، فيصير عددهم عشرة. ويُذكر أنّ العرب قسموا أصحاب المعلقات طبقات، أولاها ثلاثة شعراء هم أولاً امرئ القيس، وزهير، ولبيد، وثانيها أربعة شعراء هم: عنترة والنابغة والأعشى وعمرو بن كلثوم، والطائفة الثالثة تتكون من شاعرين هما: طرفة والحارث بن حلزة، ثم أضيف إلى هذه الطوائف شاعر هو عبيد بن الأبرص ليكتمل العدد عشرة.[3]

---

[1] – تقوم مدرسة أوس بن حجر على: تهذيب اللفظ الشعري، وتنقيح المعاني، ووتصحيح المعتل من مبنى ومعنى وتجويد الشعر. ينظر على النات: مدرسة عبيد الشعر الجاهلية. تصفح يوم 30 ديسمبر 2021

[2]–ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت،(186–246هـ) دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1413/1993، ص185

[3]–André Miquel, La littérature Arabe,1ere éd, presses universitaires de France,Paris, 1969, pp24–25

ويمكن القول إن لهذا الاختلاف في العدد والرتبة علاقة بالحكم النقدي الذي يرفع نصا ما ويخفض من قيمة نص آخر، أو يقدم شاعرا ما ويؤخر شاعرا غيره، وهذا أمر طبيعي؛ إذ يصعب الإجماع في نقد الأعمال الفنية، ولا بد من الإشارة كذلك إلى ما كان للعصبية القبلية من دور في الإعلان عن أشعر شعراء العرب، غير أن معلقة امرئ القيس تتصدر المعلقات عند كل من ذكروا المعلقات ورتبوا المعلقين.

شُرّاح المعلقات:

شرح المعلقات مجموعة من الكتاب أبرزهم: الأنباري (328هـ) وأحمد بن كيسان (320هـ) [1] وأحمد بن محمد النحاس(338هـ). والزوزني (486 هـ)... وغيرهم وهذا كله يبرز مدى أهمية هذه القصائد التي ما تزال تواصل تشكيل مخيال النص العربي ورؤاه إلى اليوم. تعدّدت رواياتها، ولعل أقدمها رواية حماد الراوية: سبع قصائد شرحها "الزوزني"[2]، وهي لكل من: امرؤ القيس(500-540م) وطَرَفةُ بن العبد:(540- 565 م) وزهير بن أبي سُلمى بن ربيعة (530-627 م)، ولبيد بن ربيعة(560-661 م)، وعنترة بن شداد(615 م)، وعمرو بن كلثوم (ت أوائل القرن السابع)، والحارث بن حلزة اليشكري(580 م). [3]

وهذا العدد الكبير لشراح المعلقات يبين مدى اهتمام الدارسين بها ويبين أهميتها في الذاكرة الأدبية العربية عبر العصور.

امرؤ القيس:

وهو ابن حجر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار بن عمر بن معاوية بن ثور الكندي، وأمه هي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب الذي تقول فيه العرب(أعز من كليب وائل) ومهلهل الشاعر المعروف الذي يقول الرواة إنه أول من قصّد القصائد. ويسمى كذلك حندج ويكنى بأبي وهب وأبي زيد وأبي الحارث وبين مؤرخي الشعر تضارب في ألقابه وأسمائه دفع بعض المستشرقين يشك في وجوده. وقد كان ورود الخلط متوقعا

---

[1]- الزوزني، شرح المعلقات السبع ، ط 1966، ص32 وما بعدها.

[2] - ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع

[3]- ينظر: ديوان الحارث بت حلزة اليشكري، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1/1991-1411.

لوجود ستة عشر شاعرا كلهم يحمل هذا الاسم. والمعلقة في التغزل بابنة عمه "عنيزة" وسرد جوانب من مغامرته في دارة الجلجل.ومطلعمعلقته"من الطويل":

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

2- طَرَفةُ بن العبد:(540- 565 م)

هو شاعر جاهلي من البحرين، عرف بلقبه" طرفة" وهو ابن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أما اسمه فـ"عمرو". ولد حوالي عام 540 في أسرة شريفة وكان أبوه وجده شاعرين وعماه هما الشاعران المعروفان المرقشان الأكبر والأصغر، وخاله الشاعر المشهور المتلمس. مطلع معلقته (الطويل) :

لخولةَ أطلالٌ ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[2]

وفي معلقته يبدو من الشعراء القلائل الذين تمتزج في شعرهم اللذة بالحكمة والفروسية؛ فقد وصف الموت بقوله:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلّد...

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القول أرفد

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد

ألا ايها اللائمي أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مُخلِدي

فإن كنت لا تستطيع(3) دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

---

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 52

[2]–ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3/1423/2002، ص3 – وينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1 ص 192 وما بعدها

[3] – أي تستطيع: أداء لغوي قائم على حذف بعض الحروف كما في "لم يك" في قول زهير **ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم**، أو كقول المتنبي: **ولم يك ذا فم مر مريض يجد مرّا به الماء الزلالا** ينظر: العكبري:التبيان في شرح الديوان للعكبري،ضبط وتصحيح مجموعة أساتذة، ج3، دار المعرفة بيروت، ص228

وللمرحوم جابر عصفور بحث مستفيض في هذه النقطة في كتابه "غواية التراث".[1] حيث يمكننا التأك من فكرة هامة هي أن اللذة نفسها نتيجة من نتائج التأمل في واقع الحياة ومصير الإنسان، وهنا يمكننا التساؤل في علاقة هذه الرؤية بالفلسفة الأبيقورية اليونانية[2].

3-زهير بن أبي سُلمى بن ربيعة (ت 13 ق هـ):

ولد حكيم الشعراء زهير في مزينة قرب المدينة بنجد؛ فقد ترك أبوه قومه وقصد غطفان حيث تزوج مرتين: مرة بأم أوفى المذكورة في مطلع معلقته ومرة بكبشة التي أنجبت له الشاعرين كعبا وبُجيرا. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى "الحوليات" أشهر شعره معلقته، وكان الشعر عند زهير قدرا أو شبيها بالقدر فقد كان أبوه شاعرا وكان كذلك خاله وأختاه وابناه، ويرتبط شعره خاصة بسيدين سعيا في السلم بين عبس وذبيان فأنهيا الحرب.

توفي الشاعر العام الثالث عشر قبل الوقد كان هذا هو موضوع المعلقة أصلا، ومطلعها (من الطويل): **أمنْ أمّ أوفى دمنة لم تكلمي بحومانة الدرّاج فالمتثلّم**[3]

ولعلّ معايشة حرب داحس والحرباء كانت سببا قويا من أسباب حكمته وتعقله.

4- لبيد بن ربيعة: (560-661 م) : هو عامريّ من مُضر، كان شريفا في قومه فارسا صاحب نجدة وشجاعة وكرم أسلم عام 629م وأقام بعد إسلامه بالكوفة إلى أن وافاه بها الأجل وقد تجاوز المئة.[1] ومطلع معلقته(الكامل):

---

[1]- جابر عصفور(1944-2021): كاتب ومفكر وباحث وأكاديمي، كان رئيس المجلس القومي للترجمة في مصر، وأمينا عاما للمجلس الأعلى للثقافة في مصر. أما كتابه غواية التراث فضم مجموعة مقالات نقدية كان قد نشرها في مجلة العربي ثم طبعها عامي 2005 و2009، وهو يحتوي مجموعة من الرسومات المعبرة التي أنجزها الرسام المصمم حلمي التوني.

[2]- وهي فلسفة أبيقور Epicure الفيلسوف اليوناني (341-270 ق.م) القائمة على اللذة، ويشير أحد الباحثين إلى سوء فهم أبيقور الذي قال بأن اللذة العقلية هي سعادة الإنسان فحرفت مقولته التي اصبحت تعني اللذة مطلقا. ينظر: يعقوب أفرام منصور: أبيقور وفلسفته التي اسيء فهمها: نصوص يعقوب أفرام منصور. مجلة الزمان ةعلى النات بتاريخ فبراير 1-2015، تصفح يوم 5 جانفي 2022

[3]- ينظر: ديوان زهير بن ابي سلمى، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، 1408-1988- ينظر: الزِركليّ، الأعلام، ج3، ط7/1986، دار العلم للملايين بيروت، ص52

عفّت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها[2]

وهي من النصوص الثرية بموسيقاها الداخلية التي تبرز مدى تطور عناية الشعراء في هذه المرحلة بهذا الجانب الفني وغيره.

5-عنترة بن شداد: (615 م)

كان يلقب بعنترة الفوارس، وهو ابن شداد سيد القوم وزبيبة الأمة الحبشية السوداء، وهكذا كانت حاله ممثلة لجانب هام من التناقضات الذي سادت الحياة الجاهلية. ويذكر الشاعر في شعره عناصر ثلاثة في حياته هي رفعة أبيه ومجده بفروسيته:

إني امرؤ من خير عبس مَنصبًا شطري[3] وأحمي سائري بالمُنصل

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيرا من معمّ مخول[4]

وهو في الوقت نفسه يحاول تحدي وضعه شاعرا ومحاربا، ومطلع مطولته هو من الكامل:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم[5]

أما البيت الذي خلده كونه معبرا عن خلق نبوي راق فهو قوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل[6]

6- عمرو بن كلثوم (ت أوائل القرن السابع)

وهو عمرو بن كلثوم التغلبي، وأمّه هي ليلى بنت مهلهِل الشاعر الجاهلي، ويُكنّى أبا الأسود. عُمّر ابن كلثوم طويلا وكانت وفاته العام الثاني والخمسين قبل الهجرة، ولقد صار الشاعر

---

[1] – ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، ص5

[2]– ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، ص163

[3] – يعني الشاعر بالشطر نصف نسبه ويقصد به شرف أبيه، غير أنه لا يذكر أمه بل ينتسب إلى سيفه وشجاعته.

[4]– الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة ، ج2، ص108

[5]–محمد سعيد مولوي، ديوان عنترة تحقيق ودراسة، المكتب الإسلامي جامعة القاهرة، 1964، ص88

[6] – محمد السعيد مولوي، ديوان عنترة: تحقيق ودراسة، المكتب الإسلامي، جامعة القاهرة1964، المقدمة، ص:د

من كبراء قومه وهو في سن الخامسة عشر، وبرع في فن الشعر، فأحبّ قومه معلقته[1] ومطلعها:(من الوافر):

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تذري خمور الأندرينا

حتى قالوا فيها:

ألهى بني تغلب عن كلّ مكرُمة قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها قد كان أولهم يا لـلرجال لشعر غير مسؤوم[2]

وهي المعلقة الوحيدة التي استفتحت بالخمر، ولعلّ للموقف الساخن المتحمّس الذي ولّدته سببا في قولها أثرا في ذلك.

7-الحارث بن حلزة اليشكري: (580 م) وهو أبو عبيدة الحارث بن حلزة بن مكروه من أهل العراق من بني يشكر، وكان أبرص، وشهد حرب البسوس، وكان قليل الشعر، وهو من الشعراء المعمرين، يضرب به المثل في الفخر فيقال: أفخر من الحارث بن حلزة. يقال إنه ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند حين قام بالصلح بين بكر وتغلب، وقد كان الشاعر مصابا بالبرص فأنشد القصيدة من وراء سجف، لكن استحسان شعره جعل عمرو بن هند يأمر برفع السجف. والنص موجه كذلك للرد على الشاعر عمرو بن كلثوم في مجلس الصلح، ولقد عاصر الشاعر أبو عبيدة حرب البسوس، ومطلع القصيدة (الخفيف):

آذنتنا ببينها أسماء رُبّ ثاو يمَل منه الثواء[3]

وألحقت قصائد ثلاث عدها الرواة من المعلقات هي: معلقة الأعشى ميمون"7 هـ" والنابغة الذبياني (18 ق.هـ 604م)، وعَبِيد بن الأبرص الأسدي (545 م) [4]

---

[1] – ينظر ديوان ابن حلزة اليشكري، لمروان العطية، دار الإمام النووي دمشق، ودار الهجرة بيروت، ط1، 1994/1415، ص ص 26-57

[2] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص143

[3] – ديوان ابن حلزة اليشكري، ص66

[4] – ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، ط1، 1414، 1994، ص4

8- معلقة الأعشى ميمون "ت 7 هـ" : كثير من المصادر العريقة تذكر الأعشى ميمون، وهو أشهر من لقب بالأعشى، ويذكر صاحب الأعلام أنه ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويلقب كذلك بأعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية. كان كثير التكسب بشعره كثير الوفود على الملوك عربهم وفرسهم غزير الشعر، ولقب بصناجة العرب لأنه كان يغنّي بشعره [1] ويلقبه الزوزني بشاعر الخمر والمديح والاستجداء،[2] أما مطلع معلقته فهو قوله من البسيط":

ودّع هريرةَ إنّ الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل ؟! [3]

وأبو بصير لقب له لضعف بصره. نشأ راوية لشعر خاله المسيَّب (ت 580م)[4].

أدرك رسالة الإسلام في أواخر أيام حياته، ورحل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقيل له إنه يحرّم الخمر والزنا فقال: أتمتع منهما سنة ثم أسلمُ فمات قبل ذلك[5]، وهو من أشهر شعراء الخمر الجاهليين. لقب صناجة العرب لقوله في النص نفسه:

ومستجيب تخال الصنج يسمعه إذا تُرجّع فيه القينة الفضل.

قال صاحب المفضليات:"من زعم أن أحدا أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر وقال آخر: الأعشى رابع الشعراء المتقدمين: امرئ القيس والنابغة وزهير. وروي أنّه أغزل الناس في بيت وأخنث الناس في بيت وأشجع الناس في بيت لقوله:

غرّاء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحِل

---

[1]- الزركلي "خير الدين"، الأعلام، ج7، دار العلم للملايين، ط2002/15، ص341

[2]- الزوزني، شرح المعلقات العشر، دار الحياة بيروت، 1983، ص306

[3] الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص314

[4]- واسمه الحقيقي زهير، وهو نزاري من مضر، ويكنى أبا الفضة، توفي سنة 850م، وهو أحد المقلين الثلاثة في الجاهلية مع كل من الحصين بن الحمام والمري والمتلمس. وهو من شعراء المديح والتكسب، يشتهر بقوله:

أرحلت من سلمى بغير متاع قبل العُطاس ورعتها بوداع ... ينظر: ديوان المسيَّب بن علس، جمع وتحقيق وراسة: عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب القاهرة، ط1423/1-2003، ص46 وجاء في لسان العرب العُطاس هو الصباح. ينظر: لسان العرب، مادة عطس، ص2995

[5]-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص159

ولقوله:

قالت هريرةُ لمّا جئتُ زائرَها ويلي عليك وويلي منك يا رجلُ

ولا يخفى ما في هذا التحليل من إشارة إلى مفهوم حديث يتناول اليوم وهو تأنيث اللغة وتذكيرها. فلغة الشعر ليست مذكّرة بالضرورة إذا قالها رجل كما أنها ليست مؤنثة بالضرورة حين تقولها امرأة. قال كذلك مفتخرا بالقتال الشجاعة فيه:

قالوا الطرادُ([1]) فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فإنّا معشر نُزُل [2]

وهذا يؤكد أهمية شعر الفخر في شعره.

9- النابغة الذبياني (18 ق.هـ 604م).

تناول سيرة النابغة عدد كبير من الدارسين وهم يعرفونه بأنه:" زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو أمامة : شاعر من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبّب في قصيدة له بـ"المتجردة"زوجة النعمان، فغضب، ففرّ وقصد الغسانيين في الشام، ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. وشعره كثير، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف فيه ولاحشو.[3] ومطلع معلقته (من البسيط):

يا دار ميةَ بالعلياء فالسندِ أقوَتْ وطال عليها سالفُ الأمدِ[4]

10- عَبِيد بن الأبرص الأسديّ (ت 545 م)

يذكره الزوزني بمعنى تصغير عبد وهذا غير صحيح فهو عَبِيد بعين مفتوحة وباء مكسورة. كما ورد اسمه عند الزركلي، وهو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مضر، أبو زياد:

---

[1]- وردت عند الزوزني بالرفع وقد تكون في الأصل منصوبة على المفعولية في موقف التحدي؛ وما يفسرها هو قول الشاعر بعد ذلك"أو تنزلون" الذي يكون النصب أنسب له بتقدير أو أن تنزلوا، المسألة محل نقاش في عدد من كتب التراث.

[2] - الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص336

[3]- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين بيروت، ج3، ص ص54-55

[4]- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص361 وما بعدها

شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر أمرأ القيس...[1] وهو عَبيد بن الأبرص بن عوف أشهر شعراء بني أسد. مضري من معد بن عدنان. ومعلقته مطلعها:

أقفر من أهله ملحُوب فالقطبيّات فالذَّنوب[2]

وتشير بعض الدراسات العروضية إلى أن وزنها على مخلّع البسيط، وإن خرجت على هذا الوزن في كثير من المواضع، مما دفع إلى الاعتقاد بأنها نصّ مُرتجل[3] وفي ذلك قال أبو العلاء المعري[4]:

وقد يُخطئ الرأي آمرؤ وهو حازم كما اختل في وزن القريض عبيد[5]

ويمكن القول بأن وزنها قد حير الدارسين ومنهم ابن رشيق الذي قال:" فإنها كادت تكون كلاما غير موزون بعلّة ولا غيرها، حتى قال بعض الناس إنها خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرها"[6]

وما يمكن قوله إذا أمعنا النظر هو أن هذه القصائد تمثل كثيرا من أغراض الشعر العربيّ، أبرزها الغزل والحكمة، كما أنها ترجمت بصدق كثيرا من فكر وذوق شعراء شذوا في شعرهم عن قيم في قبائلهم؛ فامرؤ القيس خالف عفة الجاهليين، وضحّى بالإمارة السياسية، وإن عوضها بإمارة الشعر، وقد أفحش في غزله، كما كانت معلقته صوتا للجسد قبل أن تكون تعبيرا عن عاطفة، وقصيدة طرفة حكمة في اللذة والتهالك على المفاتن التي تثيرها، أما زهير فيمثل صوت الحكماء

---

[1]- ينظر الزركلي، ج4، ص188

[2] – الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ص326- 330

[3]-جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص200

[4] – أبو العلاء المعري (363 – 449 هـ = 973 – 1057 م) أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيرا فعمي في سن الرابعة. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. ورحل إلى بغداد سنة 398هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وهو من بيت علم كبير في بلده. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص157

[5]- الزوزني، شرح المعلقات، ص ص 382-383 ينظر كذلك، الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3، 1415،1994، ص47، وفيه يذكر أن وزنه مستفعلن فاعلن فعولن مما يعني أنه ثري موسيقيا لأنه مشكل من تفعيلات عدد من البحور.

[6]-ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص125

الذين لم تكن الحياة الجاهلية تخلو منهم، وإن كان في حكمته تمرد هادئ لا يخلو من تنديد بما في العصر من سلبيّات.

ولقد عبّرت المعلقات عن كثير من الرؤى الإنسانية التي ربطت العربي بعالمه الإنساني، كما صورت رفض الشعراء الرواد لقيم سلبية سادت لطغيان القبيلة ومحاصرتها الحرية الفردية، مما جعل بعض الشعراء مثل امرئ القيس وطرفة يخرجان عن العرف الغالب فيواجهان بقوة.

وهذه المعلقات بالرغم من أهميتها الفنيّة فهي ليست بالضرورة أفضل الشعر العربي القديم، خاصة إذا ما علمنا أن كثيرا من الشعر الجاهليّ قد اندثر، كما أن العرب قد انتقوا من أشعارهم ما وافق قيم القبيلة التي ألفها ذوقهم كالبدء بالطلل، وهذا ما يفسر مثلا إبعاد شعر الصعاليك من المختارات الشعرية المفضلة عند العرب.

وقد ميّز هذه المطولات تفرّد فكر أصحابها وميلهم إلى التمرّد: فامرؤ القيس خرج في غزله على أخلاق قومه، وطرفة أعلن أنّ قومه قد أبعدوه عنهم كما يبعد البعير الأجرب المعبد، لغرقه في اللذات.

وفي المطولات وحدة نفسية قبل كونها وحدة فنية مؤسسة على قوة البيت الشعري، كما أنّها لم تحد عن أهم تقليد فني هو كونها ذات مقدمة طللية غزليّة باستثناء مقدمة معلقة عمرو بن كلثوم الخمرية.

وتعكس المعلقات ذوق القبيلة وتجسّد تمسّك الشعر بالقبلية دون اتباعها اتباعا أعمى: فقد مارس الشعراء في قصائدهم كثيرا من النقد البناء، ولو أمعنت نصوص المعلقين في انتقاد القبيلة وتعرية معايبها لكان مصيرها النسيان كما كان مع شعر الصعاليك الذي كاد أن يُمحى من الوجود. فقد كان شعر الصعاليك متميزا فنيا وفكريا عن غيره، خاصّة بكسر عمود التفكير القبليّ، وكسر عمود الشعر القبلي، فصنف خارج المنتخب الشعري القبلي، ولعل عمرو بن كلثوم نفسه قد تذكر المقدمة الطللية فقال بعد مقدمته الخمرية:

قفي قبل التفرّق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي نسألك: هل أحدثت صرما لوشك البين أن خُنت الأمينا[1]

إنه توديع شبيه بجو الطلل والرحيل ومعاناة النازح النائح .

ولقد أبرز طائفة جديدة من النصوص رآها على ما يبدو في الدرجة الثانية من الجودة بعد المعلقات، وكان له موقف من عملين شعريين كانا معدودين ضمن المعلقات لكنّه عدهما في الدرجة الثانية بعدها وهما قصيدة كل من عبيد بن الأبرص وعنترة، وهذه المجمهرات سبع قصائد من الشعر الجاهليّ برواية أبي زيد الأنصاري في كتابه جمهرة أشعار العرب وهي للشعراء:

1-عَبيد بن الأبرص (554م)

وهو عبيد بن البرص بن جشم بن عامر بن مالك بن الحارث بن ثعلبة بن أسد وهو مضري، وهو من الشخصيات الشعرية التي امتزجت حياتهم بالخرافة فقيل إنه عاش ثلاثمئة سنة، حتى رويت في قصيدة من قصائده أنه بلغ المئتين، وهو فضلا عن شاعريته التي عرف بها فارس من فرسان العرب وسيدا من سادتها. وقصيدته من مخلع البسيط الذي اثار كثيرا من النقاش وهو:

أقفر من أهله ملحوب وهي حِكميّة تسودها روح دينية.[2]

2-عديّ بن زيد بن حماد بن أيوب(35 ق.هـ)[3]:

وهو في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، عدي بن زيد الطويل، ومطلع مجمهرته:

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد؟[4]

وهي كذلك قصيدة حكمية، غلبت عليها الروح الدينية.

3-النمر بن تولب(14هـ):

---

[1] – الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ص240، 241

[2]– ديوان عبيد بن الأبرص، شرح اشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، ط1/1414-1994، ص12

[3]– هو عدي بن زيد بن حماد بن أيوب بن زيد بن تميم، ويُكنَّى أبا عمير، كان نصرانيًّا عِبَاديًّا، يُنسب إلى عِبَاد الحيرة، وهم جماعات من قبائل شتَّى، اجتمعوا في الحيرة واستوطنوها، واعتنقوا المسيحية، فلُقِّبُوا بهذا الاسم؛ حيث يَرون أنهم عباد الله في مقابل أن العرب تَعبُد الأصنام. ينظر: أثر الحضارة الفارسية في شعر عدي بن زيد العِبَادي من منظور علم النفس الاجتماعي، دكتوراه للباحث حسين قائمي أصل، جامعة أصفهان إيران، 1433هـ.

[4]– القرشي، أبو زيد، جمهرة اشعار العرب، تح: علي محم البجاوي، دار نهضة مصر، ص390

وكان شاعرا جوادا، عرف في الجاهلية بشاعر الرباب، ولقبه ابو عمرو بن العلاء بالكيّس لحسن شعره، وعرف عنه أنه لم يمدح ولا هجا[1]، مما يجعله في هذا المجال الدقيق أكبر من عصره وسق عصره، وهو القائل للرسول صلى الله عليه وسلم:

إنّا أتيناك وقد طال السفر نَقود خيلا ضُمّرا فيها عسَرْ

نُطعمها الشحم إذا عزّ الشجر والخيل في إطعامها اللحمَ ضرر[2]

4- أمية بن أبي الصلت (ت5هـ):

وهو شاعر عارف بالتوراة من شعراء ثقيف، وكان عارفا بالتوراة، وذكر في شعره الجنة والنار والأنبياء والملائكة، ويذكر كذلك أنه كان حكيما من حكماء الطائف، وقد يكون لاطلاعه على الكتب السماوية علاقة بذلك، كما يذكر أنه رغب في الإسلام، إلا أنه بعد مقتل بعض من أهله في بدر عدل عن ذلك. ومجمهرته مطلعها:

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزينب إذ تحلّ بها قطينا"[3]

ولما أُنشد الرسول صلى الله عليه وسلم شعرَه قال:آمن لسانه وكفر قلبه"[4]. وقصيدته هذه في الفخر. وهو يقدم لنا صورة عن سعة الثقافة اللاهوتية التي كانت لدى عرب ما قبل الإسلام.

5- بشر بن أبي خازم الأسديّ:([5])

وهو من بني أسد، جاهلي قديم.([6]) مطلع مجمهرته:

لمن الديار غشيتها بالأنعم تعدو معالمها كلون الأرقم

لعبت بها ريح الصبا فتنكرت إلا بقية نؤيها المتهدم

---

[1] – ينظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص48

[2] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص195 وقوله"إطعام الحيوان الشحم فيه ضرر حقيقة علمية.

[3] –ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص227 وما بعدها

[4]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 305

[5]–عاش في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي كما جاء في الديوان، ص9، وتوفي عام 22 ق هـ (هامش الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،ط1/ 1415هـ-1995، تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية لبنان، ص78

[6]– ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ص 168

دار لبيضاء العوارض طفلة[1] مهضومة الكشحين ريّا المعصم[2]

6-خِداش بن زهير[3]:

وهو شاعر جاهلي، من أشراف بني عامر وشجعانهم. كان يلقّب فارس الضحياء. يغلب على شعره الفخر والحماسة، وهو ابن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة. من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية وجمهرته في الفخر أيضا ومطلعها:

أمن رسم أطلال بتوضح كالسطر مَاشِنَ مِن شَعْرٍ فَرابِيةَ الجَفْرِ[4]...

أبي فارس الضحياء عمرو بن عامر أبى الذم واختار الوفاء على الغدر"[5]

7- عنترة بن شداد:

ومطلع مجمهرته:"**هل غادر الشعراء من متردم...**

ويمكن عدّ مختارات الأعلم الشنتمري415-476 هـ)[6]، من المختارات الهامة أيضا؛ وهي بعنوان "أشعار الشعراء الستة"وجعلها لكل من آمرئ القيس، وعلقمة الفحل، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سُلمى، وطرَفة بن العبد، وعنترة. وما يلاحظ هنا في هذه المجموعة هو أن جميع الشعراء المختارين هم من أصحاب المعلقات، باستثناء الشاعر المشهور "علقمة الفحل"وهو علقمة بن عبدة الملقب بالفحل[7] المعروف بقوله:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودّهن نصيب

---

[1] – طفلة بطاء مفتوحة ناعمة، ومهضومة الكشح مستقيمة الجانبين وريّا ممتلئة.

[2] – ديوان بشر بن خازم الأسدي، تقديم وشرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، 1994/1415

[3]– ينظر: الزركي، الأعلام، ج2، ص302

[4] – جمهرة أشعار العرب، ص113

[5]– المصدر نفسه، ص 437 + الشنتمري، أشعار الشعراء الستة، ص344 وما بعدها

[6]– الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة، مختارات من الشعر الجاهلي، شرح وتعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل بيروت.

[7]– ذكره ابن خلدون أنموذجا لأشهر الشعراء في معرض حديثه عن المعلقات، المقدمة، ج2، ص 1122،سبقت الإشارة إليه

يزدن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب"[1]

وبعد، فإن المعلقات وغيرها من المختارات تقدم صورة واضحة عن الشعر العربي القديم؛ كونها مجسدة لكثير من مميزات المجتمع العربيّ وحياته التي ميزها الترحال والصراع القبليّ وصور الثأر، كما بيّنت عددا من الخصال الحميدة من كرم ووفاء وصدق وشجاعة.

ولقد قدمت هذه القصائد صورة واضحة كذلك لملامح القبيلة وذهنيتها وسيادتها، كما كانت المعلقات تعبيرا عن الإمكانيات الفنية القائمة على الخيال والذكاء ودقة الملاحظة والربط بين الشياء وما إليها من السمات التي توفرت لدى الإنسان العربي داخل بيئته وقد تفاعل معها فأخرج إلى العالم تلك الأغراض الشعرية الوجدانية التي تعبر عن روحه ووعيه وأحلامه وأحلام جماعتيه الصغيرة والكبيرة.

---

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 130

المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك

توطئة: نسقان فكريان فنيان جاهليان:

يمكننا تقسيم الشعر الجاهلي – وفق النسق الفكري الفني الذي ينتظمه – قسمين كبيرين، أو قسمين: أحدهما طاغ مُهيمن هو النسق القبليّ، وثانيهما نسق مضادّ للقبلية مهمّش مُبعَد؛ هو شعر الصعاليك.

والأصل في كلمة الصعاليك الفقراء كما تدل عليها اللفظة في الأصل قبل أن يتغير معناها تغيرا سلبيا؛ مثلما دلت على معان أخرى منها: صعلكه أضمره وأدقّه... [1] وصار يشار إلى الصعلوك بألفاظ أخرى أبرزها: لصّ وذئب وفاتك وشاطر وخليع وشيطان...[2] وبذلك يمكننا الحديث عن نسقين اجتماعيين أيضا أحدهما كرسته الطبقة الاجتماعية السياسية الاقتصادية العليا والثاني كرسته إرادة الطبقة الاجتماعية السفلى. ويمكننا كذلك تقسيم هذا النسق قسمين جغرافيين الأول هو نسق البادية والحضر مجتمعين والثاني هو نسق "القفر" والمناطق النائية الخالية التي عمرها الصعاليك فرارا من بطش القبيلة.

وهذا يبرز شراسة حرب اللغة والمعنى التي يعلنها النسق الرسمي ويثبت دلالاتها المقصودة عبر الزمن لمجابهة حراك الفقراء وتسفيه وعيهم الاجتماعي، وهو ما دفع بعض المتحمسين الى عدّ ظاهرة الصعلكة ثورة اشتراكية، وهو التفسير الذي تحفظت بشأنه كل الدراسات المتأنية الموضوعية: فصحيح أن الصعلكة التي صارت تعني قطع الطريق قد عبرت عن وعي معين ومقاومة، غير أنها سلوك عنيف موجود في كثير من المجتمعات تمليه دائما ظروف معينة. هذا السلوك العنيف يبرز مدى شدة الصرراع الذي يسود علاقة الفقراء بالأغنياء حين توفر الوعي اللازم.

ويعبّر شعر الصعاليك عن مجموعة من الأحداث التي قد تسرد مجموعة من المغامرات قام بها شباب ذمتهم قبائلهم وأبعدتهم عن ديارهم فصاروا يغيرون على قوافل الأغنياء ثم يقسمون ما

---

[1] – لسان العرب، مادة صعلك، ص ص2451– 2452 أساس البلاغة للزمخشري، مادة صعل، ص254

[2] – ينظر :عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987، ص20

يحصلون، فاتصفوا في بعض الفكر الحديث بالثورية لرفضهم واقعا اجتماعيا قبليا ساده كثير من الظلم. لكن صفة الأنفة والعزة وما إليها من الإباء والكرم والشجاعة، كل هذه الصفات تجسد مدى وفائهم لتلك القبائل التي وهبتهم ملكة الثورة عليها وبذلك فهم منتمون منشقون في الوقت نفسه.([1]) ومن الدارسين من يدخل الظروف العائلية التربوية أيضا في نشأة هذه الظاهرة كونها تغذي هذا التوجه نحو الصعلة كأن ينشأ الطفل في وسط عائلي لا يجد فيه أي استقرار أو انسجام بين الأبوين.([2]) لكن ما يهم أكثر في هذه المرحلة التاريخية الثقافية التي تزعمتها طائفة استثنائية من الشعراء هو أن الصعلكة " في حد ذاتها كانت تريد أن تؤكد ذاتها، نظاما لقيم عليا مثالية لا مجرد ظاهرة اقتصادية..."[(3)]

وهذا يعني وجود وعي نوعي لدى طائفة هم "شعراء الصعاليك" بمعنى المعبرين عن الصعاليك جميعا و"الشعراء الصعاليك" بمعنى أنهم كانوا معبّرين في الوقت نفسه عن أنفسهم، لأنهم كانوا في الطبقة الاجتماعية المعانية نفسها وفي لب المعاناة ذاتها، فاستلهموا من وضعهم ووضع شركائهم الاجتماعيين فنهم وتفاعلوا معه وكان من الطبيعي أن يتم إنشاء فن شعري مختلف فنيا وفكريا عن الفن الشعري القبَليّ.

ووهذه الظاهرة الشعرية أهم ظواهر الشعر العربي القديم؛ كونها تدلّ على وعي اجتماعيّ استباقي، وفيها ربط للتجربة الفنية بالتجربة الاجتماعية، وقد كانت أبلغ تعبير عن المعاناة التي عاشها هؤلاء الشعراء وطبقة اجتماعية كاملة، خاصة وأنهم عبّروا عن الحلم الأبدي المتأصل في النفس الإنسانية العدالة الاجتماعية، ومن الطبيعيّ أن يتمثل التعبير عن هذه المشاعر في صرخات أو نزعات أكثر مما يتمثل في أي شيء آخر، ذلك أننا في العصر الجاهليّ لا في العصور الحديثة، ولم يكن الحديث في توزيع الثروات والإحساس بالعدالة قد تبلور في تلك البيئة الصحراوية الخالصة، التي لم تكن قد ارتقت بعد إلى ما نسمّيه الآن بالمجتمع..."[(4)]

---

[1]- إنعام الجندي، دراسات في الأدب العربي ط2، ص12

[2]- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهليّ، ص 322

[3]- هلال الجهاد، فلسفة الشعر الجاهلي، دار المدى دمشق، ط1، 2001 ، ص 113

[4]- ينظر: جهاد فاضل، ظاهرة الشعراء الصعاليك، الرياض، عدد 12 ديسمبر 2016

شعر الصعاليك: موضوعات وقضايا

عاش شعراء الصعاليك حياة جديدة ليست قبليّة، غير أنها اختزنت من ثقافة القبيلة كثيرا من القيم السامية التي كانت شعارات هامّة في مخيال الشعر العربي القديم، كما كانت في الوقت نفسه حُلما يراود كثيرا من الشعراء.

وموضوعات شعراء الصعاليك من الطبيعي أن تكون جديدة لأنها ذات صلة بظروفهم الاستثنائية الجديدة التي عاشوها وتفاعلوا معها فقالوا مقطوعات نتيجة انعدام الاستقرار أو قلته على القل، فكانت اشعارهم تدور حول المغامرة والمخاوف والمَراقب والتوعّد والمغامرات والفرار من "الأعداء"ووصف الأسلحة التي غنموها أو كانت في أيديهم.[1]

المغامرات والمفاخر:

تناول الشاعر الصعلوك موضوعات لم ترد في شعر الجاهليين منها حكايات المغامرة التي امتزجت بالخيال، وهاهو تأبط شرا في هذا النص يصور مغالبته للغول قائلا:

ألا من مبلغ فتيان " فهم" بما لقيت عند رحى بطان

بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها كلانا نضو أين أخو سفر فخلي لي مكاني [2]

ويقول في النص نفسه حين يصف لقاءه بالغول في ليلة حالكة:

فلم أنفكّ مُتَّكِئاً عَلَيْهَا لأنظرَ مُصْبَحاً ماذا أَتَاني؟

إذا عينانِ في رأسٍ قَبيْحٍ كَرَأْسِ الْهَرّ مَشْقُوْقِ اللّسَانِ

ورِجلا مخدج ولسانِ كَلْبٍ وَجِلْدٍ من قُرَابٍ أو شنَانِ

وحكايات الغول واخطاره ومقاتلته كل ذلك من ثقافات طفولة الإنسانية، خاصة في البيئات البدوية، لكن وجود حكاياته في شعر الصعاليك قد أضفي عليه بعدا جماليا، بل إنّ مقاتلة الغول والأعداء أضفى سمة جديدة على القبيلة وأسيادها، يقول أحد الصعاليك واصفا مفاخرا متحديا:

وأدهمَ قد جُبت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيعلا[1]

---

[1] – ينظر يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، للتوسع أكثر في هذا الموضوع

[2] – علي الشعيبي، الإيجابية السلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص68

إلى أن جدا الصبح أثناءه ومزّق جلبابه الأليلا

على شيم نار تنورتها فبت لها مدبرا مقبلا

فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتا أنت ما أهولا

وطابتها بُضعها فآلتوت بوجه تهول فاستغولا

فقلت لها يا انظري كي تري فولت فكنت لها أغولا [2]

وها هو الشاعر يمارس في هذا النص تحطيم القيم الفنية القبلية ما استطاع إلى ذلك سبيلا: ففي أسلوبه يدعو قومه في الشطر الأول إلى تجهيز أرحلهم ليعلن في الشطر الثاني أنّه سيهجرهم إلى قوم آخرين: ليوحي لنا بطريقة غير مألوفة مقولة ما قد تكون: إما أن ترحلوا وإما أن أرحل. وفي قصيدة أخرى يسرد الشاعر نفسه أحداث غارة قام بها الصعاليك:

خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا ثمانية ما بعدها متعتب

سراحين فتيان كأن وجوههم مصابيح أو لون من الماء مذهب

وصف التحرّف:

صار التحرف الذي ظاهره "فرار" مفخرة من مفاخر الصعاليك، عكس ما كان عليه في الأشعار القبلية التي عدّته أمرا ممقوتا منقصا لمعنى الرجولة في العرف العربيّ العريق، لكن الصعاليك قلبوا الأمر، وهذا الخلق كان وليد ظروف صعبة فعبّروا عنه بصراحة لما وجدوا فيه من فائدة، لذلك فهو في حقيقة الأمر ليس فرارا، إنما هو في مفهوم الحرب واستراتيجيتها "تحرّف" أو"تحيز" كما ورد ذلك في قول الله عزّ وجل :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ ((الأنفال: 15، 16)) وواقع الموجهة يبيّن أنهم لا يولوهم الأدبار، بل كانوا متحرّفين لقتال ومتحيزين إلى فئاتهم مستنصرين إياهم.

وهم يحكون مغامراتهم التي كانت تحتم عليهم "الفرار الظاهري"، خاصة وأنهم لم يكونوا مسلّحين بما يكفي للدفاع عن أنفسهم، أو للإغارة على أعدائهم في فرصة جديدة تتاح لهم.

---

[1] – جاء في المعجم الوسيط أن الخيعل ثوب غيرمخيط الفرجين (جهتي الذراعين) وقيل هو درع

[2] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ص 197، 198

يقول تأبط شرا في ذلك:

لا شيء أسرعُ مني ليس ذا عذر وذا جناح بجنب الريد خفاق

حتى نجوت ولمّا ينزعوا سلبي بوالهٍ من قبيض الشد غيداق

ولعل "حاجز الأزديّ" أكثر الصعاليك تفاخرا بهذه الحيلة القتالية:

ألا هل أتى ذات الخواتم فرّتي عشية بين الجرف والبحر من بعر

عشية كادت عامر يقتلونني لدى طرف السلماء راغية البكر

فالشاعر لا يخفي ما قام به ولا يشعر بأي عار أو عيب أو منقصة من فعله ذاك، إنما على العكس تماما فهو يترف بما فعل بل ويتفاخر ويريد أن تعرف العرب قاطبة أنه مارس هذا الأسلوب في مواجهة الأعداء

وصف الخيل والسلاح والمراقب:

لا خيل كافية عند الصعاليك، غير أنّ القليل التي يمتلكونها يبرعون في وصفها واستغلالها، وقد غدا تصويرها الفني أمرا ذا مكانة هامة في شعرهم، رغم أن الغالب في تحركاتهم هو اعتماد المشي والجري مغيرين وفارين. يقول تأبط شرا راثيا الشنفرى:

يفرج عنه غمة الروع عزمه وصفراء مرنان وأبيض باتر

وأشقر غيداق الجراء كأنه عقاب تدلى بين نيقين كاسر

ويصف عمرو بن براقة [1] سيفه وشجاعته ومناقب الصعاليك:

تقول سليمى لا تعرض لتلفة وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جلّ ماله حسام كلون الملح أبيضُ صارم

غموض إذا عض الكريهة لم يدعْ له طمعا طوعُ اليمين ملازم

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الخلي المسالم [2]

---

[1]- وهو عمرو بن براقة النّهمي، من شاعر فارس من شعراء الصعاليك، عُمّر حتّى أدرك الإسلام، وتُوُفّي في عهد عمر بن الخطاب كانت الحماسة والفروسية أبرز غرضين في شعره. (ينظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص76)

[2]- شريف علاونة، عمرو بن براقة الهمداني: سيرته وشعره، ط1/1424-2005، دار المناهج عمّان، ص ص5-44

ووصفوا كثيرا من تفاصيل أسلحتهم من سهم وقوس ورمح، وتميّزوا عن الجاهليين السابقين في الموضوع بوصف مراقب خصتهم، وكانوا يعتصمون بها؛ جبال شاهقة منيعة كانت تحميهم من الأعداء، إنها مراقب كثيرة لها اسماؤها الخاصة ومنها مرقبة ذي الكلب المعروفة بشدة الانحدار:

ومرقبة يحار الطرف فيها تزل الطير مشرفة القذال

أقمت بريدها يوما طويلا ولم أشرف بها مثل الخيال

ولم يشخص بها شرفي ولكن دنوت تحدر الماء الزلال[1]

ولقد كان اختيار الصعاليك للجبال العالية الصلبة المنيعة ضمن بحثهم الدائم عن قوة يتمكنون بها الدفاع عن أنفسهم أمام الأخطار التي كانوا يعانونها بسبب العلاقات القبلية الظالمة، غير أن تجربتهم الفنية قد سمت بهذه المعناة إلى تحقيق المجد السياسيّ والفنيّ.[2]

ومن الواضح أن المساحة الواسعة القفر التي لجأ إليها الصعاليك قد عززت مطلب الحرية عندهم، فورد ذلك قويا مؤكدا في أشعارهم التي عبروا فيها عن رفضهم الدائم للاحتقار والظلم، ولأول مرة صار العبيد السود والبيض المنبوذون جنبا إلى جنب، توحدهم قضية التحرر، لكن بعيدا عن جغرافية القبيلة التي كرست القوانين الجائرة.

يقول تابط شرا في وصف مَرقبة من تلك المراقب الشاهقة:

وَقُلَّةٍ كَسِنانِ الرمحِ بارِزَةٍ ضَحيانَةٍ في شُهورِ الصَيفِ مِحراقِ

بادَرتُ قُنَّتَها صَحبي وَما كَسِلوا حَتّى نَمَيتُ إِلَيها بَعدَ إِشراقِ

لا شَيء في ريدِها إِلّا نَعامَتُها مِنها هَزيمٌ وَمِنها قائِمٌ باقِ [3]

وهذه الأعالي التي تلجؤون إليها رمز من الرموز الجديدة التي تعني كثيرا من الطموح والتحدي والإباء وما إليها من القيم التي عرفت عند الصعاليك وشعرائهم.

---

[1]- ديوان تأبط شرا، تحقيق علي ذو الفقار، دار الغرب الإسلامي، 1404. 1984 ، ص ص 138- 139

[2]- ينظر: فاضل عبود التميمي، البنية المتجاورة الرمزية وأبعادها في شعر الصعاليك والفتاك حتى نهاية العصر الأموي، مجلة ديالي، عدد 66، عام 2015، ص ص 387- 410

[3]-ديوان تابط شرا وأخباره،جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1/1404-1994، ص138

علاقات الأخوة بينهم:

وحد الواقع الصعب المشترك صفوف الصعاليك ووحد شعورهم وطموحهم ونظرتهم إلى الحياة، فكان ذلك كله سببا قويا من اسباب نشأة علاقات الأخوة الاجتماعية بينهم فاهتموا بتصوير مشاعرهم فعبروا عن وفائهم لصحبهم بعد أن شكلوا مع بعضهم البعض أسرة كبيرة واحدة أغنتهم عن قبائلهم وأهليهم.

والصعاليك بتلك العلاقات معتزون بانتمائهم الجديد الذي شكلوه بوعيهم لواقعهم الصعب، واختاروه اختيارا حرا واعيا كما يتجلى ذلك في مفاخرهم ورثائهم.

يقول تأبط شرا متألما من مقتل صاحب له معبرا عن زهده في الغنائم:

أبعد قتيل العوص آسى على فتًى وصاحبه أو يأمل الزاد طارق؟[1]

وهذا يؤكد الوفاء والعلاقة الروحية اللذين يجمعان شعراء الصعاليك ويوحدانهم في تلك الظروف العصيبة التي كانوا يتقاسمونها.

5- من المفاخر الجماعية إلى المفاخر الفردية:

ثنائية الفردية والجماعية في شعر الصعاليك ظاهرة ذات أهمية خاصة: ذلك أن فردية الصعاليك تعني قبل كل شيء تحررهم من ربقة القبلية فهم لم يعودوا تابعين لها ناطقين باسمها ملتزمين بقيمها بل هم في هذه النقطة بالذات أفراد وليسوا أجزاء من القبيلة، غير أن هذه الفردية تتحول إلى روح جماعية حين يتعلق الأمر بجماعة الصعاليك؛ إذ العلاقة بينهم رغم اعتداد الصعلوك بفردانيته علاقة حميمة فيها كثير من الشعور الانتمائي المتبادل، لذلك يحضر الضميران أنا ونحن وهما يعبران عن التلاحم والانسجام والتكامل بين تعظيم الذات في إطار تفاعلها مع الذات الجماعية التي تجمع شمل الجميع في ظروف استثنائية يكون كل فرد فيها بحاجة ماسة إلى مجموعة تقويه ويقويها. يقول تأبط شرا:

إني زعيم لئن لم تتركي عذلي أن يسأل الحيّ عني أهل آفاق

أن يسأل الحيّ عني أهل معرفة فلا يخبرهم عن ثابت لاق

---

[1] – ديوان تابط شرا وأخباره، ص121

لتقرعن علي السن من ندم إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي[1]

ويقول الشنفرى (70ق.هـ) [2] في مستهل لاميته:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم إليكم لأميل[3]

فالشنفرى في هذا المطلع قد غير تقليدا هاما من تقاليد القصيدة القبلية وهو الافتتاحية الطللية، ثم اضاف تحطيم جانب آخر هو المنطق اللغوي المتعارف عليه: فقد وجه فعل الأمر في البداية، ثم نفذ الأمر بنفسه حين قال فإني الى قوم سواكم لأميل، وهذا يبرز مدى الشعور العميق بالاغتراب عن القبيلة، كما أن استئناسه بالحيوان المتوحش إدانة شديدة يوجهها إلى مجتمعه القبلي.[4]

وهذا كله واضح وصريح، يمكننا ملاحظته في ذكره لاإنسانية القبيلة وإنسانية الذئب والنمر والضبع بقوله "عنهم":

همُ الأهل لا مستودَع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جرّ يُخذل[5]

ولعلّ حياة القفر التي صارت وحشتها مهيمنة هي التي أوحت بهذه الصورة القاتمة، غير أن الشاعر يقدم لنا فجأة فكرة في غاية الأهمية في قوله:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

إنه يشترط الرؤية بمعناها العميق إذا ما نحن أمعنا النظر في كلمة الشاعر، في هذا الهجر "وهو يعقل" أي يفكر تفكيرا سليما واعيا، كما اشترط "الرهبة" وهي هنا ليست خوفا من المواجهة

---

[1]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ص197– 198

[2] واسمه مختلف فيه: عمرو بن براق أو ثابت بن أوس أو ثابت بن جابر...عرف بسرعته في الجري، والشنفرى لقبه ويعني عظيم الشفتين. ينظر: تحقيق ديوان الشنفرى: عمرو بن مالك، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2/1417–1996، مقمة المحقق

[3] – نفسه، ص58

[4]– أحمد درويش، نحو تأسيس قراءة نقدية معاصرة للنص الشعري القديم، فكر وإبداع، عدد3، 1999، ص150 وما بعدها.

[5] – ديوان الشنفرى، ص58

إنما هي خوف من البقاء في حياة الذلّ، ومن هنا تنبثق صورة الخوف الإيجابية، إنه وجه آخر للشجاعة المتّصلة بالوعي والشعور بالمسؤولية، الذي يدفع الصعلوك إلى اختيار المواجهة والتحدي.

ج- الزوجة بدلا عن الحبيبة:

حبيبة الشاعر الصعلوك في قصيدته هي زوجه، وطلله هو قفره، ومصراع مطلعه هو سرده لمغامراته الخطرة التي ينجو فيها كل مرة من موت محقق لولا هروبه تارة ومواجهاته الدامية تارة أخرى. كل ذلك مكّن شاعر الصعاليك من إنجاز نص مختلف في كثير من الجوانب الفكرية والفنية؛ كونه شاعرا مختلفا بقفره وطريقة عيشه ونوعية تفكيره المتحرر من مسلمات النسق القبلي القديم الذي صار شيئا منبوذا في عرفه الجديد ونسقه الناشئ.

وفي نصوص شعراء الصعاليك حيوية وتعدد أصوات وروح سردية نابعة جميعها من روح الحركة النشطة التي شهدتها حيواتهم المتقلبة ساعة بعد ساعة، وفيها مواقف إنسانية تسودها روح الصراع بين الحق في الحياة الهادئة وواجب الكفاح في سبيل الحرية والكرامة والتحررمما يحتم شيئا من القسوة على الذات وعلى أحب الناس إليه،؛ إيثار للقضية والكفاح في سبيلها. يقول تأبط شرا – الرجل الأسود الذي ورث السواد عن أمه أميمة – وهو من أغربة العرب[1]:

ستقول سُليمى لجاراتها أرى ثابتا يفَنًا حوقلا[2]

لها الويل ما وجدتْ ثابتا ألف اليدين ولا زُمّلا [3]

فالحبيبة التي كانت شريكة الشاعر في نصه وعواطفه هي عند الصعاليك زوجته التي بالرغم من صيغة الدلال المستعملة "سليمى" فهو لا يرى بدا من التضحية والبرهنة على قوّته.

ويمكن إجمال أبرز السمات الفنية في شعر الصعاليك في ما يلي:

قصر النفَس ووحدة الغرض:

---

[1]- ديوان شرح عبد الرحمن المسطاوي، دار المعرفة بيروت، ط1424/1-2003، ص5

[2] جاء في هامش الديوان، شرح عبد الرحمن المسطاوي، ص48، الحوقل الشيخ الضعيف المتعَب. فن: يَفَنَ: الْيَفَنُ: الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَفِي كلام عَلِيٍّ-عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا الْيَفَنُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، الْيَفَنُ... الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْقَتِيرُ: الشَّيْبُ.

[3]-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ص197-198

كان لحياة التشتت والتشرّد أثر في تميّز قصائد الصعاليك – في أغلبها– بقصر نفَسها، باستثناء ما عرف عند الشنفرى وتأبط شرا، فقد كانت نصوصهم مقطّعات أو أبياتا منفردة تصف حالة عابرة، وكان لبعض الصعاليك كذلك بيته اليتيم، كما نجد ذلك في البيت الذي يروى للسليك بن السلكة[1]:

فبينا يجولُ الحيّ في رونق الضحى إذا لمّة من آل يشكُر بالعَرَى[2]

وقد كان هذا النفس القصير عاملا هاما من عوامل تحقق التركيز ووحدة الغرض وهما من سمات الشعر القوية، فقد كادت قصائد الصعلكة تتخصص في وصف أدق الأمور في مغامرات الصعاليك والأخطار، ودقائق الأخطار التي ألمت بهم، مع وصف كذلك لما استبدّ بهم من أحزان، وما جادت به قرائحهم من مفاخر اقترنت بتحدي تلك اللحظات العصيبة من حياتهم.

ب– سمة السردية:

المغامرة والفتك والإغارة والسلاح والفرار والحوار ووصف المخاطر والنجاة منها والتنقل من مكان إلى آخر، كلها عناصر حساسة في شعر الصعاليك وكل ذلك جعل السمة السردية حاضرة بقوة في شعرهم. هي خصائص موجودة في أشعار غيرهم، غير أنها عند الصعاليك ظاهرة هامة ومكون حساس من مكونات شعرية الصعلكة وهذا يؤكد حقيقة هي أنهم قدموا للقصة الشعرية طائفة هامة من عناصرها البسيطة الأولية المؤهلة للتطور[3] وقد كان ذلك طبيعيا لأن حالة عدم هي التي أنتجت هذا الشعر.

ج – ثنائية الارتجال والطبع:

الطبع سمة هامّة من سمات شاعر الصعاليك؛ فهو لا يهتم بزخرف القول بل بالبوح والسرد وبيان حاله ووضعه وحلمه، كما أن سرعة إيقاع حياة المغامرات كانت سببا مؤثرا في نوعية الشعر

---

[1]– (ت نحو 17 ق هـ =نحو 605 م) وهو السليك بن عمير بن يثربيّ بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فاتك، عداء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يلقب بالرئبال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. وكان لا يغير على مضر. وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة . قتله أسد ابن مدرك الخثعمي. ينظر: الزركلي الأعلام، ج3، ص115

[2]– ديوان السليك بن السلكة، تقديم طلال حرب، دار صادر بيروت، ط1، 1996، ص97

[3]– بوجمعة بوبعيُو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب دمشق2001، ص84

عند الصعلوك الذي لا يجد الوقت الكافي والراحة النفسية اللازمة التي تمنحه فرصة "الصنع" الذي هو جانب أساس في أي عملية فنية. وبذلك فإن شعرهم وليد انفعالات سريعة، مما أدى إلى عدم إمكانية التجويد، وكان شعرهم بذلك معبّرا عن قضية شائكة وفكرة جديدة وأزمة حساسة وشهادة صادقة.

ويُعزى إلى الصعاليك تسرّب بعض التعبير الغريب، وكأنّ اغترابهم المكانيّ ولّد اغترابا لسانيا، ثم إنهم بعد ذلك يبدو شعرهم متمثّلا لبعد جديد في حياة العرب التي عرفت شعر كل من البادية والحضر فأضافوا بعدا جديدا هو شعر القفر والفقر، ممّا قرّب شعرهم من الشعور الفطريّ الساذج أكثر، وهنا يمكننا التساؤل: أيمكن النظر إلى شعر الصعاليك على أنه مدرسة فطرية ؟ [1]

وإذا كان شعر البداوة والمدينة متمثلا للانسجام الاجتماعي العام فإنّ شعر الصعاليك صورة للنفور والتمرد والرفض التام، رفض مارسه شاعر الصعاليك حتى داخل اللغة التي صاغ بها تجربته؛ لذا جاءت هذه التجربة وحشيّة نافرة مختلفة قالبة للوضع العام ثائرة على الأعراف بدءا من ثورتها على مفهوم النص الشعري ذاته، ومن ذلك ما نجده في خروجهم عن وحدة البيت نتيجة لظاهرة الارتجال التي هيمنت على كثير من شعرهم، كما نلاحظ ذلك في قول عروة بن الورد (616 م):

أتجعلُ إقدامي إذا الخيلُ أحجمتْ وكرّي إذا لم يمنع الدبر مانع[2]
سواءً ومن لا يقدم المُهر في الوغى ومن دبْرُه عند الهزاهز ضائع
إذا قيل يا ابن الورد أقدم إلى الوغى أجبت فلاقاني كميٌّ مقارع[3]

---

[1]– تصف أسماء أبو بكر محمد في تقديمها لديوان عروة مبرزة سبب تعلقها بشعره بقولها: أحب الشخصيات وأكثرها جاذبية، ذاك لما اشتمل شعر هذا الشاعر الجاهلي الفطريّ من آداب إنسانية رقيقة ... ".

[2] – الدبر هو المال والهزاهز الشدائد والوغى الحرب الضروس. ينظر: هامش ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ص

[3]– ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1997، ص65 وينظر: الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ص81

فكلمة سواء تابعة للبيت السابق، وبعد ذلك يؤكد الشاعر ما ورد في البيت الأول وجزء من البيت الثاني، متجاوزا الشرط التقليدي الذي يفرض أداء البيت لمعناه كاملا [1].

د- تجاوز الواقع والاقتراب من المطلب المثالي:

لم يكن الشعر الجاهلي في كل مراحله تعبيرا عن حالة قبول للسمة القبلية وقيمها كلها إيجابية كانت أو سلبية، بل إن عددا من الشعراء كانوا يمارسون نوعا من التوجيه والإدانة والتمرد أحيانا على كثير مما كان يعد أمورا مسلما بها في حياة القبيلة، غير أن الصعاليك تردد شعرهم بين الواقعية والمثالية: ذلك أن هجر القبيلة دفعهم إلى البحث عن عالم مختلف وقيم مغايرة لكثير من القيم السابقة الظالمة، فصاغوا حياة جماعية ابتكرتها حاجاتهم المتنامية عمادها الإغارة والمغامرة والحرب، متخذين قمم الجبال ومغاراتها وكهوفها الخطرة مساكن وحصونا، والوحش صحبا. لذلك فقد كان صوتهم الشعري مختلفا ومجسدا لبحثهم الشاق عن عالم أفضل أكثر إنسانية، وعن بديل فني يصف واقعهم وحلمهم.من خلال مقطوعات صوروا بها حالهم، مخالفين كثيرا من تقالي الشعر العربي القبلي العريق. بعيدا حتى عن مقاييس ضبطت اللغة والفن، داخل شعر تأرجح بين الواقعية والمثالية، وكان شعرهم بذلك جزءا من مرحلة شعر ما قبل الإسلام، تلك المرحلة التي تعطينا لمحة عن سمة التدرج في القبول والتمرّد: فزهير مثلا كان قد قبل العيش معززا مكرّما في القبيلة، ناطقا باسمها، لكنه نطق باسم الحكمة أيضا، ممارسا تمردا هادئا ضدّ بعض قيمها، ونجد ذلك واضحا في معلقته، وهذا ما قالم به طرفة بن العبد القائل:

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأُفردت إفرادَ البعير المعبّد[2]

لكن الفرق شاسع بين تمرّد زهير الشيخ الهادئ المنتقد وتمرّد طرفة الشاب المندفع الذي آثر اللذة على قيم القبيلة، باحثا في تلك اللذة عن أناه ومعنى وجوده، كما نستطيع عد عنترة شكلا ثالثا من أشكال التمرد في شعراء ما قبل الإسلام ويتجلى ذلك في قوله:

إني آمرؤ من خير عبسٍ منزلاً شَطري وأحمي سائري بالمُنصَل[1]

---

[1] – ينظر : محمد الصديق بغورة، في النص الشعري العربي القديم، دار الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2019

[2]– ديوان طرفة بن العبد، تقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، 1423. 2002، ص25

فما الذي كان يمنع عنترة بأن يكون غرابا عربيّا وقاطع طرق وصعلوكا، لكنّه اختار أسلوبا مختلفا "شبه متمرد" فجابه وضعه بسيف وشعر، أي بسياسة، وعمل ثقافي، وإن كان في بيته هذا اعتراف بحكم القبيلة ضد الأم، وكل ذلك يمكن تفسيره بالعلاقة الدموية التي تربطه بسيد القوم"شداد".

ويمكن القول إن ظروف الصعاليك لم تكن كظروف عنترة الذي كان بشكل جزئيّ جزءا من القبيلة وقيمها من خلال نسبته الأبوية؛ فهذا الاختلاف هو الذي يمكن أن نفسر به اختلاف الموقفين، فإذا كان عنترة قد هادن القيم القبلية في جزئيها الاجتماعي والفني وقاومها مقاومة فردية خصت حياته الضيقة، فإنّ الصعاليك قاوموها في جزئيها القبلي والفني، وبذلك فقد صارت الذات الفرديّة أكثر حضورا، دون أن تلغي الذات الجماعية الحاضرة في القيم التي تقاسمها الصعاليك، كما اختفت بكائيات الطلل وغزلياته التقليدية بسبب الشرخ الذي حدث بين الشعراء وأماكنهم التي كانت حميمة ثم انقطعت حميميتها وانتهت كما صارت القصيدة التي طالت عند أصحاب المعلقات مقطوعات سريعة مكثّفة عندهم تصوّر المشاهد الآنية وتسجّل هموما كثيرة أرّقت الصعلوك ومخاطر جمّة هدّدته، فغدا الشعر أقرب إلى نوع جديد من الحياة، وإلى نوع جديد من الوعي مناهض للواقع سلبيّ، فبدت رغبة فنيّة واضحة في صوغ واقع آخر أفضل له سلمه الشعريّ والخلقي والاجتماعي الخاص، وهو السلم الذي تجلى بعد ذلك في القيم الإسلامية وأبرزها الحرية والعدل والإنسانية ونبذ الاستعباد.

وهكذا يقودنا شعر الصعاليك إلى تقسيم جديد لرؤى الشعر العربي القديم: أولاها رؤية آمرئ القيس اللاهي غير المتنمي والثانية رؤية الشاعر الحكيم زهير وثالثتها لطرفة الشاب الشاكي المتحدّي ورابعتها لعنترة الذي ينفّذ تحديه ويدرك حريته الفردية والخامسة هي رؤية الصعلوك الذي يسعى إلى حرية الجماعة ويحققها في نصه. وهذه النماذج هي حاضرة دوما في حركة الحياة

---

[1]- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط1، 1412، 1992، ص 126

وشتى مراحلها، وفي كل واحدة منها تفرض رؤية ما نفسها وتكون الأنسب.[1] وهذا يعني أن الشعر مستمر في تفاعله مع مشكلات الحياة وتحدياتها.

نماذج من شعر الصعاليك

1-عروة بن الورد

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يُرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه

فللَموت خير للفتى من حياته فقيرا ومن مولًى تدبّ عقاربه

* * *

وسائلةٍ أين الرحيل وسائلٍ ومن يسألُ الصعلوك أين مذاهبه؟

مذاهبُه أنّ الفجاج عريضةٌ إذا ضنّ عنه بالفعال أقرابه

* * *

فلا أتركُ الإخوان ما عشت للرّدى كما أنّه لا يَترك الماءَ شاربه

ولا يُستضام الدهرَ جاري ولا أُرى كمن بات تسري للصديق عقاربه

وإن جارتي ألوت رياحٌ بيتَها تغافلت حتّى يستُر البيت جانبه[2]

---

[1]- ينظر ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، 1418-1998 دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية بيروت.

[2]- المرجع نفسه، ص48 (السوام الماشية- يرح عليه: ترد إبله إلى مراحها - المولى ابن العم - الصعلوك - اللص الفقير - وهو مطلقا الفقير - الفجاج الطريق الواسع بين جبلين - ألوت رياح بيتها: ذهبت به وألقته).

المحاضرة الرابعة : الشعر في صدر الإسلام

1-الأدب في صدر الإسلام :

كانت بوادر تطور الشعر العربيّ تأثرا بنزول القرآن الكريم شديدة الصلة بالمفاهيم الجديدة التي استقرت في النفوس المؤمنة بالإسلام ومنها تحول العلاقة بين العرب من الصراع من أجل الوجود إلى الاتحاد لأجل أداء كلمة الحق، وهكذا فقد حل الاتحاد محل الفرقة والشعور بوحدة الجماعة الإسلامية محل النزعة القبلية، وتلخص كلمة القرآن الكريم ومبدأ الحديث النبوي بذكر علاقة الأخوة الإسلامية هذه العلاقة الجديدة في قول الله عز وجلّ"**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**" (الحجرات10)

ولقد دفع العرب هذا الشعور الأخوي إلى عد كل بلاد الإسلام بلادا لهم فاتسع شعورهم بالانتماء الإنساني الديني، فأقاموا في عدد من الأمصار واختلطوا بأهليها اختلاطا واسعا عميقا بالمصاهرة والمتاجرة والجيرة والمثاقفة، أما لغتهم فمسها القرآن الكريم بالميل إلى البساطة والرقة والوضوح، كما كان القرآن الكريم مقدمة للانتقال إلى عصر النثر، وكان ظهور الأسلوب السهل الممتنع نتيجة واضحة لهذا التأثير العميق.[1]. كل هذا قد حدث بالرغم من قصر المرحلة الزمنية الممتدة إلى بداية العصر الأموي.

2- القرآن الكريم البيان المعجز:

ومن الناحية اللغوية والثقافية والمعرفية فإن أبرز حدث عرفه العرب في تاريخهم هو نزول الوحي بالقرآن، « فالقرآن بالإضافة إلى كونه كتاب دين، هو سفر أدب معجز في بلاغته، به العرب بلغته، وأعجزهم بأسلوبه، وأخذ بمجامع قلوب سامعيه سواء أكانوا من أتباعه أم كانوا من مناوئيه... إنه نمط باهر ببيانه وبلاغته، فصّلت آياته تفصيلا ، لا هو بالشعر الموزون الذي كان

---

[1]-خالد يوسف، قصة الأدب العربي: من بدايته حتى العصر الحديث، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت،ط2010/1، ص85.

يدور على السنة شعرائهم، ولا هو بالسجع المقفى الذي كان يدور على ألسنة كهانهم وخطبائهم»[1].

وقد تحدى القرآن العرب في لغتهم التي كانوا يتقنونها، ويتمايزون بها عن الشعوب والأمصار الأخرى، وأعجزهم إعجازا بلاغيا وأسلوبيا، قال تعالى: ((**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)). لذلك راحوا يقتبسون ألفاظه ومعانيَه في قولهم وخطبهم ونظمهم. ويذكر جرجي زيدان أن التأثر بأساليب القرآن قد بلغ غايته، ويستدل لذلك بمخاطبات القادة والأمراء، حيث يقول: « تجد أمثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على أسلوب صدر الإسلام في كتب الفتوح والغزوات، كفتوح الشام للواقدي، وفتوح البلدان للبلاذري، ومنها جانب كبير في خطط المقريزي عن فتوح مصر. وتجد معظمها مجموعاً في كتاب فتوح الشام للشيخ أبي إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة الذي طبع سنة 1854، وفيه ما لم يشاهد في غيره من كتب الفتح ... فإنّه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية أو الأوامر الرسمية التي جرت بين الخلفاء الراشدين وقادتهم أو ما تكاتب به القادة أو ما كتبوه إلى كبراء الروم وغيرهم. أو ما عقدوه من العهود في أثناء حروبهم بالشام إلى فتحها وفتح أجنادها ... كأنها الأصول التي أُخذت أخبار الفتح عنها، [2] ممّا أجبر الشعراء على مراجعه كثير من المواقف تجاهه، ومنهم من توقف عن نظمه كلبيد بن ربيعة مثلا، ومنهم من تحوّل إلى نظم جديد يغرف من النص القرآني موضوعات، ومجازات وكنايات، لم تألفها التقاليد الشعرية العربية من قبل. وفعلا فقد كان للقرآن تأثير واضح على حياة المسلمين لغويا وأدبيا، ويمكن إيجاز ذلك في النقط التالية[3]:

- توحيد العرب على لغة قريش والعمل على انتشارها.
- حفظ العربية، وجعلها لغة تنبض بالحياة والاستمرار والخلود.

---

[1] – المرجع السابق، ص 86.

[2] –ينظر :جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،ج1، مراجعة وتعليق شوقي ضيف،دار الهلال القاهرة،ص ص189–196

[3] – ينظر: خالد يوسف، قصة الأدب العربي ، ص ص 87–88.

- القيام بتهذيب العربية من حوشي الكلام، وغريب اللفظ، واستبداله بأساليب الجزالة والرقة والعذوبة والسهولة.

- خدمة علوم كثيرة، كالفقة والأصول، والقراءات والتفسير وعلوم العربية المختلفة كالبلاغة والنحو والصرف والبيان والبديع والمعاني.

ويمكن القول إنّ القرآن جدّد حياة العرب الثقافية واللغوية والعلميّة، وأمدّهم ببلاغة جديدة، وطاقة علمية لم تكن متوفرة، كما كان حافزا رئيسيا لقيادة الدعوة الجديدة، مبنية على نشر الأخلاق الحميدة، والقيم الإنسانية السامية المؤسسة على الخير والتسامح والأخوة الطاهرة.

3- الصوت الشعري في صدر الإسلام:

خفتَ صوت الشعر فنيّا، وهو يتجوّل إلى خطاب سياسيّ مصاحب لمسيرة عربيّة إنسانيّة جديدة مؤثرة في النفوس، وواكب أحداث العصر « فأسهم في نشر الدعوة الجديدة، وشارك في المعارك مع الوثنيين والمرتدين، وفي حروب الفتن الداخلية، وفي الفتوح والمعارك خارج الجزيرة العربية ... ولم يخفت صوته في كثير من الأغراض الموروثة، إنما لأسباب دينية، ولبعض الوقت، انصرف بعض الشعراء عن الشعرإلى أمر الدّين والنبوة والوحي، وأدهشهم القرآن بأسلوبه وبلاغته، فسكتوا عن الخوض في النظم والنثر معا»[1].

لقد كان لسان الدعوة الإسلامية ينطق بها، ويذود عنها، ويفرش لها الطريق، لتحقق غاية أساسية لبناء إنسان جديد، ضمّنه القرآن المعجز في آياته وسوره.

4- المشركون وعجزهم أمام القرآن الكريم:

قد بيّن القرآن الكريم جذور تلك الذهنية البدائية التي كان يتداخل فيها؛ ما هو أرضي بما هو ما ورائي، من خلال وصف العقليّة الجاهلية التي كانت تربط الصلة قوية بين الشعر والسحر مثلا، حين ذكر اتهامين متصلين ببعضهما اتصالا وثيقا وجّ ههما الجاهليون للنبي صلى الله عليه وسلم هما الشعر والسحر: أما الشعر فكامن في حلاوة القول وطلاوته، وأما السحر ففي الأثر الذي كان القرآن الكريم يتركه في نفوس الناس حين يستمعون له وبه يستمتعون، فيؤمنون. قال تعالى:«**ومَا**

---

[1]- المرجع السابق، ص 89.

علّمنَاهُ الشّعرَ ومَا ينْبغِي لهُ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » يس69، وقوله«**فَقَالَ الَّذين كَفرُوا منهم إنْ هَذا إلاَّ سحرٌ مُبين** »المائدة110" فلا عجب بعد ذلك أن ينهى سادة قريش الناس عن الاستماع له ولا عجب كذلك في أن يؤمروا باللغو فيه، أي مقابلته مقابلة عبثيّة بعيدا عن كلّ جدّ. قال تعالى: "**وقال الذين كفرُوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوْا فيه لعلّكم تغلُبون**" فصّلت 26، ومن المفسّرين من رأى بأنّ القصد باللغو فيه اللغط والصياح، وفي ذلك خوف لدى المشركين من المحاورة والنقاش وعجز عن مقارعة الحجة بالحجة.[1] وفيه دلالة واضحة على القوة والإقناع والقداسة.

5- موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء واضحا، كيف لا وهو القائل: "إنّ من البيان لسحرا وإنّ من الشعر لحكمة" ؟ فهو لم يَنه عن الشعر صراحة، بل وجهه نحو الخير، وكان يستمع إليه، ويشجّع ما يليق بالدعوة والخلق الفاضل، وكان شعراء المدينة ومنهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، من أوائل المدافعين عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ضد خصومه من شعراء المشركين. [2]

ومن الطبيعي أن يحاول أي صاحب دعوة كسب أصوات الشعراء تعزيزا لنشرها، وهو ما يؤكد قوة الكلمة عموما، والشعر خصوصا في استمالة النفوس، وقلب المواقف؛ لأنّ الشاعر كان ذا مكانة عالية في قومة، فللكلمة في حياة العرب وغير العرب سلطة ويمكن لها أن تؤثر تأثيرا كبيرا وتغيّر الموازين، والتاريخ الإنساني يشهد على أحداث ومرويّات كان الشعر سببا قويا في حدوثها وحينما تكالبت قريش على رسول الله صلي الله عليه وسلم تكيل له التهم الواحدة تلو الأخرى بالشعر والكذب الافتراء جاء الردّ سريعا، بعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: "يا حسّان اهجهم وروحُ القدُس يؤيدك"، وكان يردف قائلا بعد كل شعر كان ينشده حسان:" لَهذا الشعر أشدّ عليهم من وقع النَّبْل" وقال أيضا:" أمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان

---

[1]- المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، مراجعة وتدقيق مروان سوار، دار الجيل بيروت، 1998، ص497.

[2]- خالد يوسف، قصة الأدب العربي، مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت2010، ص ص90-91

بن ثابت فشفي واستشفي. لقد طلب الرسول الكريم من شعراء المسلمين الدفاع عن الحق ونصرة الدين. [1]

وهذا كله يؤكد أن الكلمة الشعرية ظلت ذات أهمية بالغة في الحياة السياسية والدينية عند العرب.

6- الفتوح في شعر صدر الإسلام:

لم يخل الشعر الجاهلي من القيم السامية غير أن مجيء الإسلام قد عزز التوجه نحن تعزيز الحكمة والدعوة إلى الخير والتسامح، فبعد أن كان الشاعر الجيد هو القادر على الابتكار في المدح والرثاء والغزل، فقد حلت قيم جديدة متصلة بما يدعو إليه افسلام من أخلاق حميدة، كما صار المديح النبوي من الأغراض الهامة الدالة على رفعة الشاعر. وكان من الطبيعي أن يتأثر الشعر في هذه المرحلة بألفاظ القرآن الكرين منا تأثر بمعانيه وقيمه السامية.

ومن الأغراض الجديدة التي انتشرت في هذه المرحلة "شعر الفتوح" وهو بالرغم من اقترابه من شعر الحماسة الذي عرفته العرب إلا أن شعر الفتوح قد تميز عنه بالسمة الروحية التي اصطبغ بها. إنه شعر يصف الشجاعة في الحروب التي دارت خلال نشر الدين، لكنه يربطها بالرغبة في نيل الشهادة ونيل الجنة. ولم يكن مجرد تغن بالانتصارات، ومن أمثلة ذلك معركة القادسية التي أصرّ فيها أبو مِحجن الثقفيّ على مشاركة المسلمين الجهاد، وطلب من زوجة سعد بن أبي وقاص أن تتوسط له ليُطلَق سراحُه بعد حبسه بسبب شرب الخمر، فأبلى بلاء حسنا، حتى إذا رجع ظافرا مع الجيش أنشد يقول [2]:

والقادسية حين زاحم رستم كنّا الحماةَ بهنّ كالأشطان

الضاربين بكل أبيض مِخدمٍ والطاعنين مجامع الأضغان

كما نجد"عمرو بن شأس الأسدي" يحتفل بموقعة القادسية، وقد عدّها يوما عظيما وهائلا:

قتلنا رستما وبنيه قسرا تثير الخيل فوقهم الهبالا

---

[1]- المرجع السابق ، ص91

[2]- ابن قتيبة الشعر والشعراء1/ 332.

وفرّ الهرمزان ولم يحام وكان على كتيبته وبالا [1]

إنها حماسة خاصة يوجهها الانتصار للرسالة الإسلامية، وهي تبرير فنيّ جماليّ للقتال بذكر غاياته السامية وأبرزها نشر رسالة الإيمان والحق والحرية والكرامة الإنسانية، وكثيرا ما ترد تلك المعاني في الإشادة بالإسلام وبخصال النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول: كعب بن مالك مفتخرا بالرسول الكريم [2]:

وفينا رسول الله نتبع أمره إذا قال فينا القول لا نتظلع

تدلّى عليه الروح من عند ربّه ينزّل من جو السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصدنا إذا ما اشتهى أنّا نطيع ونسمع

وفي الرثاء كذلك حدث تطور في مفهوم الحياة والموت والشهادة، وصار رثاء الشعراء للنبي من أبرز موضوعات هذا الفن الذي تناول كذلك استشهاد المدافعين عن الإسلام، وبعده صار هذا الغرض جزءا من الخطاب السياسي الذي دفع الشعراء إلى الإشادة بالخلفاء الراشدين في ظل الصراع والخلاف الذي ساد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك انتقل الرثاء من طابعه الفردي إلى الطابع الجمعي الذي يصور الحزن العام والتضحية في سبيل المجتمع ككل.

يقول أبو سفيان بن الحارث في رثاء الرسول (ص):

أرقت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك فيما أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجل عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل[3]

وبالرغم من كثرة مدحيات النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن قصيدة بانت سعاد الملقبة بالبردة ظلت اشهر قصيدة لعوامل كثيرة؛ منها أن شاعرها هو ابن زهير ومنها أيضا أن بدايتها الغزلية كانت جميلة، صيغت بطريقة القدماء، وقد نالت كل هذا الترحيب والتبجيل رغم أن موضوع المدح

---

[1]– الطبري، تاريخ الامم والملوك، دارالكتب العلمية، بيروت، ط 1/ 1407، ج2، ص412.

[2]–كعب بن مالك الأنصاري،الديوان، دراس تحليل،سامي مكي العاني،مكتبة النهضة بغداد،ط1، 1386/1966، ص224

[3] – ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص203

كان جزءا صغيرا جدا من نص الشاعر، وبالرغم من أن ما ورد من اعتذار كان خاليا من الصحة: فالمسألة لا علاقة لها لا بالأقاويل ولا بالوشاة، والنبي صلى الله عليه وسلم يعرف أن كل ذلك إنما هو من جميل الشعر وخياله:

أنُبئت أن رسول الله أوعدني والوعد عند رسول الله مأمول

مهما هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل [1]

غير أن الأهم في كل هذه المدحيات والمرثيات هو أن الشعراء قد وظّفوا منتجهم الفني في تتبع حركة التاريخ والمجتمع متطوراته. وجعلوا كلمتهم الشعرية تقتبس من القرآن والحديث مما جعل النص الشعري نصّا روحانيّا ساميًا.

---

[1]- ديوان كعب بن زهير، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت،1417- 1997، ص65

65(النص كاملا من ص 60 إلى ض67)

المحاضرة الخامسة: الزهد والتصوف: أبو العتاهية ابن الفارض

شعر الزهد والتصوف

تمهيد:

لا يمكن أن تتضح معالم كل من شعر الزهد وشعر التصوف إلا بمعرفة المعاني اللغوية لهذين اللفظين زهد وتصوف: فالزُّهد والزَّهادة في الدنيا ولا يقال الزُّهد إلاَّ في الدين خاصة، والزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزَّهادة في الأَشياء كلها: ضد الرغبة. زَهِدَ وزَهَدَ، وهي أَعلى، يَزْهَدُ فيهما زُهْداً وزَهَداً؛ بالفتح عن سيبويه، وزهادة فهو زاهد من قوم زُهَّاد، وما كان زهيداً. ولقد زَهَدَ وزَهِدَ يَزْهَدُ منهما جميعاً ... وزَهُد أَيضاً، بالضم ... وفلان يتزهّد أَي يتعبّد، وقوله عز وجل:"**وشرَوه بثمن بخس دراهمَ معدودةٍ، وكانوا فيه من الزاهدين**"(يوسف20)؛... اشتروه على زُهْدٍ فيه. والزَّهِيد: الحقير. وعطاء زَهِيدٌ: قليل. وازْدَهَدَ العطاءَ: استقلَّه ... والمُزْهِدُ: القليل المال. وفي حديث النبي، صلى الله عليه وسلّم: **أَفضل الناس مؤمن مُزْهِدٌ**؛ المُزْهِد: القليل الشيء، وإِنما سُمّي مُزْهِداً؛ لأَنّ ما عنده من قلته يُزْهَدُ فيه. وشيء زَهيد: قليل؛ قال الأَعشى ... :

فلن يطلبوا سِرَّهَا للغِنَى، ولن يتركوها لإِزْهَادِها

يقول: لن يتركوها لقلة مالها وهو الإزهاد ... [1]

والملاحظ هو أن هذه التعريفات التي قاربت الزهد هذا العالم الشاسع قد تناولت ثلاثة جوانب فيه أحدها هو الجانب الديني والآخران هما الجانبان الاجتماعي والنفسي، لكن ما يهمنا هنا أكثر هو علاقة الزهد بالجانب الرابع: الكتابة الأدبية.

ومن الدارسين من يرى الزهد ظاهرة نفسية، وبعد الجانب النفسي يأتي الاصطلاح الذي يحدده بأنه حنين الروح إلى مصدرها الأول ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها، والرغبة عن نعيمها وتفضيل نعيم الآخرة عليها.[2] ومن الواضح أن هذا التعريف يرى الزهد

---

[1]- لسان العرب، مادة زهد، ص1876

[2]- سراج الدين محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية بيروت، ص5

والتصوف شيئا واحدا رغم اختلافهما عن بعضهما وبالرغم من كون التصوف نتيجة فكرية فلسفية لتطور الزهد.

وكما اختلط شعر الزهد بشعر التصوف فقد يتم النظر أحيانا إلى الشعر الديني الذي عرفه الجاهليون على أنه من ألوان شعر الزهد وقد يكون أقرب إلى الشعر الديني. ومن الشعراء الجاهليّين المذكورين في باب الزهد المأمور الحارثي وأكثم بن صيفي وزيد بن عمر بن نفيل، وورقة بن نوفل، وأبو القيس الراهب وأميّة بن أبي الصلت.[1]

شعر التصوف:

يمكن القول بأن الزهد قد مهّد للتصوف وشعر التصوف. وإذا كان شعر الزهد قد عبر بطريقة يمتزج فيها التصوير بالنظم لتعليم قيم الزهد كما وردت في الكتاب والسنة، فإن التصوّف قد مر بمراحل ثلاث: الأولى كانت مرحلة زهد وامتدت من ظهور الإسلام إلى غاية منتصف القرن الهجري الثاني؛ وكان فيها التصوف غير بعيد عن القيم الواردة في الزهد، فبدا أقرب إلى الحكمة والوعظ والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية والرضا بقضاء الله وقدره مع الدعوة إلى ما كان شعر الزهد يدعو إليه. وفي المرحلة الثانية الممتدة إلى غاية القرن الرابع الهجري، حدث امتزاج وتلاقح بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية في ظل الاهتمام بعلم اللاهوت، وتأثير علم الكلام[2] والفلسفة، وفيها غلب النثر في التعبير عن التصوف، كما ظهرت المصطلحات الصوفية، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة ازدهار التصوف وشعر التصوف، وامتدت إلى غاية منتصف القرن الثامن الهجري.[3]

1- ينظر: سراج الدين محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي، ص5

2- هو علم التوحيد وهو كذلك علم أصول الدين يبحث في العقيدة ويثبت صحتها إثباتا عقليا. ويعرفه الفارابي بقوله: صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف ما خالفها بالأقاويل".(ينظر: خميسي ساعد، مفهوم علم الكلام عند الفارابي، مجلة إنسانيات، 31-12-2020، ص ص109-117)

3- جميل حمداوي، التصوف والأدب، موقع ديوان العرب على النات: 2007، تصفح يوم 12 أكتوبر 2021

بين الشعر الديني والزهد:

تميزت المرحلة الجاهلية بظاهرة الشعر الديني الذي تتخلله الإشارات الزهدية. يقول عدي بن زيد العبّادي، وهو من أشهر شعراء النصارى في العصر الجاهلي[1]:

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب

تلوح المشرفية في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب [2]

من بنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صمّ الجبال

رُبّ ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليها فُدُمٌ[3] وجياد الخيل تَردي في الجلال

عُمّروا دهرا بعيش حسن آمني دهرهم غيرَ عِجال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال [4]

أما في العصر الإسلامي فقد عبّر علي بن أبي طالب عن الزهد بقوله:

النَاسُ مِن جِهَةِ التِمثالِ اَكــفاءُ أَبوهُـــمُ آدَمُ وَالأُمُ حَوّاءُ

نَفسٌ كَنَفسٍ وَأَرواحٌ مُشاكَلَةٌ وَأَعظُمٍ خُلِقَت فيها وَأَعضاءُ

وَإِنَّما أُمَّهاتُ الناسِ أَوعِيَةٌ مُستَودِعاتٌ وَلِلأَحسابِ آباءُ

فَإِن يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَرَفٌ يُفاخِرونَ بِهِ فَالطينُ وَالماءُ

ما الفَضلُ إِلا لِأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ عَلى الهُدى لِمَنِ اِستَهدى أَدِلّاءُ

وَقَدرُ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يُحسِنُهُ وَلِلرِجالِ عَلى الأَفعالِ أسماءُ

وَضِدُّ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يَجهَلُهُ وَالجاهِلونَ لِأَهلِ العِلمِ أَعداءُ [5]

---

[1]- ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، 1385-1965، وزارة الثقافة والإرشاد بغداد، ص9

[2]- ديوان عدي بن زيد العبادي، ص37- والدخدار الذهب. (ينظر: معجم المعاني الجامع)

[3]- سقاة (ينظر لسان العرب 3365)

[4]- ينظر: سراج الدين محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي، ص8

[5]- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، طبعه وصححه وجمعه ورتبه عبد العزيز الكرم، ط1-1409-1988، ص7

وبذلك فقد تبين أن شعر الزهد شعر تعليمي، وهو فنّ أدبي يهتم بالروحانيات ويدعو لنبذ الدنيا وزينتها، ويحث على أن الحياة الدنيا فانية زائلة، وأن البقاء إنما هو للآخرة، مما جعله عامرا بالحكم والمواعظ المستخلصة من القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

أشهر شعراء الزهد: الموضوع الأساس الذي شغل الزهاد أكثر هو الموت، وفي ذلك قال أبو الدرداء: كفى بالموت واعظا وكفى بالدهر مفرقا اليوم في الدور وغدا في القبور.[1] ومن أبرز شعراء الزهد في العصر العباسي:

1- الإمام الشافعي (150-204هـ):

الإمام الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطّلبيّ القرشيّ، صاحب المذهب الشافعي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو مفسر ومحدث، عاش بغزة بين عامي(767-820 م)، قال الجاحظ فيه: رأيت في هؤلاء النبَغة الذين نبغوا، فلم أر أحسن تأليفا من المطّلبيّ[2] كأن فاه نظْم درّ إلى درّ"[3] ومن أشهر شعره:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولَسْتُ مِنْهُمْ لعلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةْ

وأَكْرَهُ مَنْ تجَارَتُهُ المعَاصِي ولَوْ كُنَّا سوَاء فِي البِضَاعَةْ[4]

ومن شعره أيضا:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء

وكن رجلا على الأهواء جلدا وشيمتك السماحة والوفاء

وإن كثرت عيوبك في البرايا وسرك أن يكون لها غطاء

تستر بالسخاء فكل عيب يغطيه - كما قيل - السخاء[1]

---

[1]- ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، تحقيق عامر بن علي ياسن، دار ابن خزيمة المملكة السعودية، ص100

[2]- نسبة إلى "ابن المطّلب"، كون الشافعي قرشيا ومن آل علي بن أبي طالب.

[3]- ديوان الشافعي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر القاهرة، ط2/1405-1985، ص4

- ينظر كذلك، المقريزي(ت845هـ)، تاريخ المقريزي الكبير، تح: محمد عثمان، ج5، دار الكتب العلمية، ص114،

[4]- ديوان الشافعي، ص4

2-أبو العتاهية (130-211هـ):

أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي، أبو إسحاق ولد في عين التمر سنة 130هـ/747م ، وهو أشهر شاعر زهد في تاريخ الشعر العربي، ومن شعره قوله:

أشدُّ الجهادِ جهادُ الهوى وما كرم المرء إلا التقى

وأخلاق ذي الفضل معروفة ببذل الجميل وكف الأذى

وكل الفكاهات مملولة وطول التعاشر فيه القلى

وكل طريف له لذة وكل تليد سريع البلى

ولا شيء إلا له آفة ولا شيء إلا له منتهى

وليس الغنى نشبٌ في يد([2]) ولكنْ غنى النفس كلُّ الغنى

وإنا لفي صنُع ظاهر يدل على صانع لا يُرى[3]

ويبدو الهدف التوجيهي في جعل الذات قدوة خلقية رفيعة تبرز من خلالها تطهير الذات من أصعب الغايات التي يمكن أن نحققها، ومن شعره أيضا:

ألا إن لي يوما أُدان كما دِنت ليحصي كتابي ما أسأت وأحسنتُ

أما والذي أرجوه للعفو إنه ليعلم ما أسررت منه وأعلنت

كفى حزَنا أني أحس ضنى البلى يقبح ما زينت وحسّنت

وأعجب من هذا هناتٌ تغرني تيقنت منهن الذي قد تيقنت

تصعدت مغترا وصوبت في المنى

وحركت من نفسي إليها وسكنت

وكم قد دعتني همتي فأجبتها وكم لوثتني همتي فتلوثت[4]

---

[1]- المصدر نفسه، ص4

[2]- يمكن عد رفع "نشب" هنا ضربا من الانزياح النحوي، فقد جاءت نشب اسما لليس التي خبرها "الغنى"

[3]- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، ط1406-1986، ص20

[4]- نفسه، دار بيروت، ط1406-1986، ص90

3-أبو نواس:

هو أبو نُوَاس أو الحسن بن هانئ الحكمي الميلاد عاش بين عامي(756 -814م) ، ومن شعره:

إِلَهَنَا، مَا أَعْدَلَكْ مَلِيكَ كُلِّ مَا مَلَكْ

لبَّيْكَ، قَدْ لَبَّيتُ لَكْ لَبَّيكَ إِنَّ الْحَمْدَ لكْ

وَالْمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكْ وَاللَّيلَ لَمَّا أَنْ حَلَكْ

وَالسَّابِحَاتُ فِي الْفَلَكْ عَلَى مَجَارِي الْمُنْسَلَكْ

مَا خَابَ عَبْدٌ أَمَّلَكْ أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكْ

لَولاكَ يَا رَبِّ هَلَكْ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَكْ

وَكُلُّ مَنْ أَهَلَّ لَكْ سَبَّحَ أَوْ لَبَّى فَلَكْ

يَا مُخْطِئًا مَا أَغْفَلَكْ عَجِّلْ وَبَادِرْ أَجَلَكْ

وَاخْتِمْ بِخَيْرٍ أَجَلَكْ وَالْعِزّ لاَ شَرِيكَ لَكْ [1]

ومن شعره فب التوسل والخوف والرجاء أيضا:

يا ربِّ إنْ عظُمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا مُحسنٌ فبمن يَلوذُ ويستجير المُجرم

أدعوك ربي كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم؟

ما إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مُسلِم [2]

خصائص شعر الزهد: يمكن جمع خصائص شعر الزهد في ما يلي:

1- النزعة الدينية

2-النزعة التعليمية بالترغيب والترهيب

3-طابع التأمل

---

[1]- ينظر : الإصفهاني، الأغاني، ج20، تح:علي الجندي ناصف، إشراف:محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993، ص72

[2]- ديوان أبي نواس، تح: مطبعة مصر القاهرة، 1953، ص 618

4-التناص مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

5-الحجاجيّة لإقناع العقل بعرض لغوي واضح بسيط

6-العناية بالبديع: من طباق ومقابلة

التصوف وشعره:

التصوف:

تعددت تعريفات التصوف لتعدد المنطلقات الفكرية، وتشعب منابع التصوف ذاته، غير أنه من الواضح أنه نزعة إنسانية حاضرة في كل الثقافات وهي في جوهرها تعبير عن إشباع الجانب الروحي مع الزهد في الحياة المادية، طلبا للسعادة الروحية. أما اصطلاحا فهو مفهوم شاسع، ومعبر عن تجربة شخصية. يعرفه الجرجاني بأنه: علم القلوب الذي يبحث في أحوال النفس الباطنة، ويسعى إلى تصفية القلوب والطهر والتجرد ويؤدي إلى الاتصال بالعلم العلوي. اما الغزّالي فيقول: هو طرح النفس في العبودية وتعلق القلب بالربوبية، فإنّ تصفية القلب عن مرافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النقائية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة"وبذلك فهو تزكية للنفس وتصفية للقلب وإصلاح للخلق. ويعرفه الجنيد[1] بدقة وتركيز بأنّه: لحوق السر بالحق ولا ينال ذلك إلا بفناء النفس عن الأسباب لقوة الروح والقيام مع الحق".

الشعر الصوفي:

تعاملت الصوفية تعاملا خاصا مع لغة الشعر فصارت عندهم مجموعة من الإشارات والرموز، خاصة وأنهم كانوا مولعون في شعرهم بالتلويح والتلميح والإيحاء والإيجاز والإشارة، أما أفكارهم فقد اتسمت باللطف والروحانية ومخاطبة الوجدان، وهذا ما يستشف من قول أحدهم: "علمنا

---

[1]- جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي(673-748)، ج14، تح: حسان بن عبد المنان، بيت الأفكار الولية، ، ص66، أنه "الجنيد أَبُو القَاسِمِ الجُنَيْدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الجُنَيْدِ النَّهَاوَنْدِيُّ ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، القَوَارِيْرِيُّ، وَالِدُه الخَزَّازُ.هُوَ شَيْخُ الصُّوْفِيَّةِ. وُلِدَ سَنَةَ نَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي ثَوْرٍ".

إشارة، فإذا صار عبارة صار خفيا"[1] وهذا من أسباب ظاهرة الغموض التي اتسم بها شعرهم.[2]

ومن أشهر شعراء التصوف:

عبد الله بن المبارك (118- 181 هـ):

عبد الله بن المبارك تركي الأب خوارزمي الأم، عالم دين، كان في شبابه مقبلا على الشراب، مولعا بالطرب والعزف على العود، ثم تغيرت حياته، وبدأ في طلب العلم وقد تجاوز العشرين، في الكوفو والبصرة والحجاز والشام ومصر واليمن، حتى عرف أنه سفّار، وقال في ذلك "طلبت الأدب ثلاثين سنة وطلبت العلم عشرين سنة"[3] واشتهر بهذه القصيدة:

يا عابدَ الحَرَمينِ لوْ أبصرْتَنا لَعلمْتَ أنّك في العبادةِ تَلْعبُ

مَنْ كان يَخْضِبُ خدَّهُ بدموعِهِ فَنُحُورُنا بِدِمَائِنا تَتَخَضَّبُ

أو كان يُتْعِبُ خيلَهُ في باطلٍ فخيولُنا يومَ الصَّبِيْحَةِ تَتْعبُ

رِيْحُ العَبِيْرِ لكمْ ونحنُ عبيرُنا رَهْجُ السَّنابكِ والغبارُ الأطْيبُ

ولقد أتانا مِنْ مَقالِ نبيِّنا قَوْلٌ صحيحٌ صادقٌ لا يُكْذَبُ

لا يَسْتَوِي وغُبارُ خَيْلِ اللهِ في أَنْفِ امرئٍ ودُخَانُ نارٍ تَلْهَبُ

هذا كتابُ اللهِ ينطِقُ بَيْنَنا ليس الشَّهيدُ بميِّتٍ لا يُكْذَبُ[4]

رابعة العدوية (100-181هـ):

وتلقب بشهيدة العشق الإلهي، وتكنى بأم الخير، هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية القيسية مولاة آل عتيك، ولدت بالبصرة في أسرة فقيرة، وهي أول تكلم في الحب الإلهي بين الصوفية المسلمين[1]، من واشتهرت بقصائد كثيرة لعلّ أبرزها:

---

[1]- ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ،مراجعة: محمد أحمد حسب الله، ص115

[2]-محمد الحاج لقوس،من خصائص الأدب الصوفي ولوعه بالإشارة، أمارات في اللغة والأدب،ج3،عدد2،سبتمبر 2019، ص ص82-102

[3]- ديوان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك، تح: مجاهد مصطفى بهجت، مجلة البيان، 1431-2010، ص19

[4]- ديوان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك، ص48

أحبك حُبّين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا

فأمّا الذي هو حبّ الهوى فشغلي بذكرك عما سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا[2]

وتقول أيضا مبرزة خلوة الصوفي العاطفية الإلهية المنفردة حيث يتم الإقبال على التعبد المتواصل والذكر والمناجاة:

راحتي يا أخوتي في خلوتي وحبيبي دائماً في حضرتي

لم أجد لي عن هواه عوضاً وهواه في البرايا محنتي

حيثما كنت أشاهد حسنه فهو محرابي إليه قبلتي

إن أمت وجداً وماثم رضا والعناني في الورى وشقوتي

يا طبيب القلب يا كل المنى جد بوصل منك يشفي مهجتي

يا سروري وحياتي دائماً نشأتي منك وأيضاً نشوتي

قد هجرتُ الخلق جميعاً أرتجي منك وصلاً فهل أقضي أمنيتي [3]

ابن الفارض(576-632هـ):

ولد ابن الفارض لأسرة من حماة السورية في مصر، وهو شاعر كثير الولوع بالمحسنات عامة والجناس خاصة([4]) يقول:

قلبي يحدثني بأنك مُتلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف

لم أقض حق هواك إن كنت الذي لم أقض فيه أسى ومثلي من يفي

ما لي سوى روحي وباذل نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف

فلئن رضيت بها فقد أسعفتني يا خيبة المسعى إذا لم تُسعف

---

[1]- عبد الرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1962، ص61

[2]-ينظر: سعد بوفلاقة، رابعة العدوية البتول الشاعرة المتصوفة، حوليات التراث.

[3]- عبد الرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية ، ص52

[4]- ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، ص 6

ومانعي طيب المنام ومانحي ثوب السقام به ووجدي المتلف

عطفا على رمقي وما أبقيت لي من جسمي المضنى وقلبي المُدنِف[1]

ابن عربي(560-638هـ):

وهو محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي، المُرسي، المكنى بأبي بكر الملقب بالشيخ الأكبر، ولد في مرسية بالأندلس وتوفي بدمشق، وله مؤلفات كثيرة منها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ومفاتيح الغيب، والتعريفات، ومشاهد الأسرار القدسية، وشرح الألفاظ التي اصطلحت عليها الصوفية، غيرها[2]

وهو من أشهر شعراء التصوف ومن قصائده:

أشهد في خالقي بجوده ما شاء من سنا وجوده

واختارني للعلوم قلبا عناية بي على عبيده

وقال لي لا تكن محلاّ لوارد الكون في شهوده

فإنما جنتي وناري لكل رسم دارا خلوده

فاذكر وجودي بعين جودي يكن عطاء على حدوده[3]

وهكذا فقد رفع ابن عربي الشعر الأندلسي درجات بفضل ما قدمه من شعر متميز في موضوع التصوف ليغدو الأندلسيون متميزين بثلاثة فنون هي الموشح والتصوف ووصف الطبيعة.

الفرق بين الزهد والتصوف:

تدور معاني شعر الزهد في التذكير بالموت والحساب والترغيب والترهيب والحساب والعقاب والثواب، واستخلاص العبر من تقلبات الدنيا وانتقال المرء فيها من ضعف إلى قوة ثم من قوة إلى ضعف، أما التصوف فقد استوعب ما في الزهد من إنكار لملذات الحياة وإيثار للتقرب من الله عز وجل بالعبادات ثم أضيفت إلى كلّ ذلك أفكار فلسفية وأعراف وسلوكات جديدة، بل

---

[1]- المصدر نفسه، ص151 (المُدنِف بضم الميم وكسر النون: المريض)

[2]-ديوان ابن عربي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1416/1996، ص5

[3]- ديوان ابن عربي، ص46

ولغة خاصة صارت متداولة داخل المتصوفة، ولعل الحلاج هو أكثر الشعراء الممثلين لأعلى درجات التصوف.

المحاضرة السادسة: الحماسة ومكانتها في تاريخ الاختيارات الشعرية العربية

تعريف:

تطلق الحماسة على شعر الحرب، وهي من الأغراض الشعرية الغنائية الوجدانية، التي تشيد بالأمجاد والانتصارات في الحروب، والقيم الرفيعة، ولفظ الحماسة دال في الأصل على الشدة والشجاعة والبسالة.

حماسة أبي تمام (188-231هـ):

جمع الدارس العربي القديم أشعار العرب في المعلقات والمفضليات والأصمعيات، لتأتي الحماسة في الرتبة الرابعة زمنيا.

ولأبي تمام فضلا عن ديوانه وحماسته الكبرى مجموعة من المؤلفات أبرزها: فحول الشعراء، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل، والوحشيات(الحماسة الصغرى). وعنون أبو تمام كتابة الحماسة المكون من ثلاثة أبواب كان أولها قد تناول شعر الحماسة، أما البابان الآخران فتناولا موضوعات وأغراضا أخرى، وهي برواية الجواليقي(ت540هـ) [1]

تفنن أبو تمام في اختياراته التي مست عددا كبيرا من القصائد لم يكن أصحابها من المشهورين وبذلك فقد أخرجت حماسته إلى النور عددا من الشعراء المهمشين، كما أنه لم يكن متعصبا لقبيلته طيء بل اجتهد في اختيار أجمل المقاطع من حيث الأسلوب والتصوير والتفنن دلالي، حتى قيل إن أبا تمام كان أشعر في حماسته منه في شعره. ولشهرة حماسة أبي تمام فقد ألف تلميذه حماسة كما ألف العسكري صاحب الصناعتين حماسته وغيرهما، وكل ذلك جعل الدارسين يسمونها الحماسة الكبرى، وقد تكون هذه التسمية تمييزا لها عن الوحشيات التي سميت حماسة صغرى.

---

[1]-ينظر :أبو تمام،ديوان الحماسة، برواية الجواليقي،شرح وتعليق أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية بيروت،ط1/1418-1998

أبوابها:

لحماسة أبي تمام عشرة أبواب هي: الحماسة والمراثي والأدب والنسيب والهجاء، والمديح والأضياف، والصفات، والسير والنعاس، والمُلح، ومذمة النساء. [1]

نماذج منها:

بلغ تفتح أبي تمام على النص المهمش درجة جعلته يذكر أبياتا شاعرها مجهول؛ كما نجد ذلك في هذين البيتين:

وإنا لتصبح أسيافنا إذا ما اصطحبن بيوم سفوك[2]

منابرهن بطون الأكف وأغمادهن رؤوس الملوك

وكان رجل من بلعنبر يقال له "قُريط بن أُنيف" أول شاعر يذكر ليستشهد بقوله في باب الحماسة:

لو كنت في مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذن لقام بنصري معشر خُشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

قوم إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووُحْدانا[3]

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال بُرهانا

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا ...[4]

وهو نص جدير بأن يتصدر الحماسة لما فيه من تصوير عميق لمعاناة المسالمين الشرفاء إبان الجاهلية. وهو يذكرنا بقول زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بلسانه يُهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم[1]

---

[1]- ينظر: أبو تمام، ديوان الحماسة، ص9

[2]- سَفوك صيغة مبالغة من سافك، وتعني كثرة ضحايا الحرب

[3]- يقال زَرافات ووُحدادا بفتح الزاي في الكلمة الأولى وضم الواو في الثانية. ينظر: أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي. ج1، عالم الكتب القاهرة، ط1/1429-2008، ص420

[4]- أبو تمام، ديوان الحماسة، ص11

شراح حماسة أبي تمام:

شرح حماسة أبي تمام ست: الإصبهاني وابن جني والمرزوقي والطبرسي والتبريزي والعبكري.[2] وهم دارسون كبار وعنايتهم بالحماسة تؤكد مدى أهميتها في تاريخ التأليف العربي القديم.

حماسة البحتري (206-284هـ):

أبواب حماسة البحتري مئة وأربعة وسبعون، وقد كانت أبواب أبي تمام عشرة، وهو ما يعني اهتمام البحتري بالتفصيل والترتيب والتدقيق أكثر. واللافت هو أن هذه الحماسة قد عُنيت بشعر المرأة. وإذا كان أبو تمام يذكر بعض النماذج الشعرية لكل شاعر، فإن البحتري قد راح يطيل النصوص فكانت تقارب ضعف ما ورد عند أبي تمام، وبالرغم من كل ذلك فإنّ الشراح قد اهتموا بحماسة أبي تمام أكثر. وحماسة البحتري هي الكتاب الخامس في سلسة المنتخبات الشعرية القديمة بعد حماسة أبي تمام، وإذا كان لأستاذه فضل الريادة فإن تلميذه قد استقل بمنهج خاص وعرض مادة أدبية غزيرة: فقد قامت على المعاني في حين أن حماسة أبي تمام قامت على الأغراض الشعرية. [3]

ولقد توسع البحتري في أبواب كتابه فجعلها مئة وأربعة وسبعين بابا توخيا للدقة، وكان الباب الأول بعنوان: فيما قيل في حمل النفس على المكروه، وكان الباب الثاني فيما قيل في الفتك، وختمت الأبواب بـ"مختار أشعار لجماعة من النساء في المراثي".، أما اشاعر الأول الذي ذكر في الباب الأول فهو عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ القائل:

أبت لي عفتي وأبى إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وأعطائي على المعسور مالي وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

---

[1]- ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1-1408-1988، ص ص 102-112

[2]- أبو تمام، ديوان الحماسة، ص10

[3]- البحتري، ديوان الحماسة، تح: محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، ص ص5-7

لأفعَ عن مكارم صالحات وأحمي بعدُ عن عرض صحيح[1]

وهو كما نرى شعر قوي جمع شديد الصلة بالحماسة وهو فضلا عن كل ذلك جميل صيغ في لغة أسلوب شعري رصين.

شرح الزوزني للمعلقات (ت486هـ):

وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين، من "زوزن" المدينة الفارسية المعروفة بالبصرة الصغرى لشهرتها العلمية، وبالرغم من مؤلفاته العربية والفارسية، إلا أنه عرف بشرحه للمعلقات، وأصحابها هم:([2])

1-**امرؤ القيس**(80 ق.هـ): ومطلع قصيدته هو:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

2-**طرفة بن العبد** (538-664 هـ):

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

3-**زهير بن أبي سلمى** (ت609م): **ومطلع معلقته:**

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

4-**لبيد بن وَبيعةَ العامريّ**(534-644هـ):ومطلع قصيدته:

عفت الديار محلها محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

5-**عمرو بن كلثوم** (450-600م) ومطلع معلقته:

ألا هبي بصحنك فآصبحينا ولا تذري خمور الأندرينا

---

[1]- صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الحماسة البصرية، تح: عال سليمان جمال، مكتبة الخانجي، 1999/1420، ص7

[2]- ينظر، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج5، تح: عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، 1977، دار المعارف، ص 207

6-عنترة بن شداد (ت608 م) [1] ومطلع معلقته التي احتوت عددا من المشاهد الملحمية التي تصور فروسيته وشجاعته:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

7- الحارث بن حلزة (42ق هـ-580م)[2] ومطلع معلقته هو:

آذنتنا ببينها أسماء رُبّ ثاو يُمّل منه الثواء [3]

فقد رتب الزوزني الشعراء ترتيبا نقديا بالحكم لأشعارهم أو عليها، وما يلاحظ هو أنّ هذا الترتيب - الذي صار جزءا من التقاليد الأدبية عند العرب القدامى - قد مسّ تغييرا لمراتب بعض الشعراء، غير أن امرأ القيس ظلّ الرقم الأول في كلّ مرة، وهو ما يؤكد أهمية هذا الشاعر في تاريخ الشعر العربي.

الشاطبي: (730- 790هـ) من أهم باحثي أصول الفقه، بفضل تعمقه اللغوي والمنطقي وبحثه في المقاصد القرآن الكريم. [4]

وهو أديب باحث أندلسي ضرير عاش في القرن السادس الهجري. من شعره قوله:

ألم تر أنّ الدين يندب حظه غريبا شديدا واحدا دون صاحب

إذا عدد القرآن تتلى حروفه وينسى حدودا كلّ أفق وجانب

يقول ألستم تؤمنون بربكم منزل آيات الكتاب العجائب

فما لكم عنها عروضا فعالكم ولا بد من عرض على الله حاسب

لمن يترك الرقراء ورد فراته ورودا من الدنيا أجاج المشارب[1]

---

[1]- يرجح أنه قتل عام 608 م بحسب محمد سعيد مولوي، دارس ديوان عنترة ومحققه، طبع المكتب الإسلامي، 1970، ص52

[2]-ديوان الحارث بن حلزة اليشكريّ، تح:محسن عطية،دار الإمام النووي دمشق،دار الحديث دمشق،ط1415،1هـ-1994،ص43

[3] وردت مطالع قصائد الديوان في الصفحات التالية: بحسب ترتيبها: 13-47-71-89-113-130- 146

[4]- لعبيدي منيرة، ملامح النظرية السياقية عند الإمام الشاطبي (ت790هـ)، مجلو علوم اللغة العربية وآدابها جامعة الوادي، عدد14، ج15، 2018، ص ص 243-260

وفي منظومته الشاطبية، وعنوانها الكامل هو "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع"، وفيها يقول ممهدا بمجموعة من النصائح الدينية والخلقية والحثّ على طلب العلم:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللهِ فِي النَّظْمِ أَوَّلاَ تَبَارَكَ رَحْمَاناً رَحِيماً وَمَوْئِلَا

وَثَنَّيْتُ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَى الرِّضَا

مُحَمَّدٍ الْمُهْدى إِلَى النَّاسِ مُرْسَلَا

وَعِتْرَتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ تَلاَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْخَيْرِ وُبِّلَا

وَثَلَّثْتُ أَنَّ الْحَمْدَ لِلهِ دائِماً وَمَا لَيْسَ مَبْدُوءًا بِهِ أَجْذَمُ الْعَلَا

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلَا

وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً جَدِيداً مُوَالِيهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلَا

وَقَارِئُهُ الْمَرْضِيُّ قَرَّ مِثَالُهُ كَالاتْرُجِّ حَالَيْهِ مُرِيحًا وَمُوكِلَا

هُوَ الْمُرْتَضَى أَمَّا إِذَا كَانَ أُمَّةً وَيَمَّمَهُ ظِلُّ الرِّزَانَةِ قَنْقَلَا

هُوَ الْحُرُّ إِنْ كَانَ الْحَرِيُّ حَوَارِياً لَهُ بِتَحَرِّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلَا[2]

وهو نموذج لشعر عصر الضعف الذي كان يجمع المعاني السابقة ويعرضها عرضا مضطربا، لا تناسق في لفظه، غير أنه يحاول تزيين الكلام بعدد كبير من المحسنات البديعية.

أبو الحجاج يوسف البياسي(ت653):

هو أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البيّاسيّ، أديب أندلسي عارف بالآداب العرب الشعرية والنثرثة، وأيامهم. اشتهر بحفظ المتون كحماسة أبي تمام و"سقط الزند" للمعريّ وغيرهما. عايش الحياة الأندلسية وثقافتها، وقدِم من الأندلس إلى مدينة تونس، وجمع للأمير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر، صاحب إفريقية، رحمهم الله أجمعين، كتاباً سماه "الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام"، ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب، وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية –

---

[1]– ينظر: السخاوي(643)، فتح الوصيد في شرح القصيد، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1/1425-2004، ص13، ص41

[2]– نفسه، ج1، ص1

وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضاً قبل هذا، واستوفيت القصة في الترجمتين- ورأيت هذا الكتاب وطالعته، وهو في مجلدين، أجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن.[1]

أحمد بن إسماعيل الكوراني: (813-893هـ) (1410-1488م)

هو أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ الحنفي، مفسر، كردي الأصل، من أهل شهرزور، تعلم بمصر ورحل إلى تركيا فتعهد بتعليم وليّ محمد الفاتح، وعمل قاضيا، وتوفي بإسطنبول. وله كتب أشهرها: غاية الأماني في تفسير السبع المثاني [2]، والدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع وللسبكي في الأصول، الكوثر الجاري؛ وهو شرح للبخاريّ، وشرح كافية ابن الحاجب (570-646هـ) [3] في النحو.[4]. أما في علم العروض فقد ابتدأ منظومته" **الشافية في علم العروض والقافية**" بقوله:

بحمد إله الخلق ذي الطوَل والبر بدأت بنظم طيّه عبق النشر

وثنيت حمدي بالصلاة لأحمد أبي القاسم المحمود في كُربة الحشر

صلاة تعمّ الآل والشيع التي حموا وجهه يوم الكريهة بالنصر[5]

---

[1]- ينظر: وفيات الأعيان، ج7، ص38

[2]- السبع المثاني: هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، أو الأنفال والتوبة، عند من جعلهما في حكم سورة واحدة، وقيل: هي الفاتحة، كونها سبع آيات في أصح قول العلماء من دون البسملة، بحسب ابن جرير وابن كثير، وسميت آيات الفاتحة السبع بالمثاني؛ لأنها تثنى: أي تكرر في ركعات الصلوات فرضا ونفلا. ينظر على النات: السؤال الخامس من الفتوى رقم (389) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، نائب رئيس اللجنة: عبدالرزاق عفيفي، عضو: عبدالله بن عبدالرحمن بن غديان، عضو: عبد الله بن سليمان بن منيع. تصفح يوم 25 ديسمبر 2021

[3]- ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص264

[4]- ينظر على النات: علي العاملي الكوراني، ج3، المكتبة الشيعية، ص401 تصفح يوم 21 ديسمبر 2021

[5]- ينظر: تقي الدين عبد القادر التميمي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، دار الرفاعي، الرياض، ج1، 1983، ص82- ينظر كذلك: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1022

وهذا يعطينا فكرة عما يسمي شعرا تعليميا، والحقيقة أنه إنما نظم تعليمي.

ومن هذه الكتب التي لها غايات تعليمية كتب الاختيارت الشعرية والنثرية التي هي قديمة عند العرب ومن أشهرها الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وهي قد تكون ذاتية؛ كما نجد ذلك لدى نزار قباني في أحلى قصائدي، أو غيرية: كاختيارات أدونيس من أشعار السياب والمتنبي، واختيارات الأعلم الشنتمري (410-476هـ) من أشعار الشعراء الستة الجاهليين، وهي تراعي التحديد الزمني، لذلك تكون لمجموعة من الشعراء المتعاصرين، كما قد تكون على أساس جديد دقيق مثل ديوان البيت الواحد لأدونيس، أو على أساس الغرض الشعري، كأفضل ما قيل في المدح أو الهجاء أو الغزل وغيرهما، أو على أساس الجنس كأفضل أشعار النساء في "نزهة الجلساء في أشعار النساء" للسيوطي[1]، أو كتاب أشعار النساء للمرزباني، وكانت المعلقات نتيجة اختيارات الرواة وهي أقدم الاختيارات الشعرية التي عرف بها حماد الراوية خاصة، وهو الذي سماها معلقات، وسميت كذلك المذهبات والمذهبات والسموط، والطوال والمشهورات والسبعيات، والمختارة ومن الشراح الأنباري والنحاس والزوزنيّ. ولقد ناقش الباحثوت أمر التسمية والتعليق واختلفوا بين مصدق ومكذب.

والأقدم كانت المفضّليات للمفضل الضبي والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب للقرشي،ومختارات شعراء العرب لابن الشجري، وكتاب الاختيارين للأخفش الأصغر[2].

والمفضليات تميزت بانتقاء القصائد الطويلة وهي مئة وست وعشرون قصيدة تميزت بالجزالة، وأصحابها جاهليون ومخضرمون وإسلاميون، ولم يتمّ بيان علل الاختيار، ومن شراحها التبريزي

---

[1]- هو الإمام الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري وُلِد السيوطي في القاهرة سنة 849هـ 1445م ، أهم مؤلفاته: الإتقان في علوم القرآن، متشابه القرآن، الإكليل في استنباط التنزيل، مفاتح الغيب في التفسير، طبقات، المفسرين، الألفية في القراءات العشر، التحبير في علوم التفسير، الناسخ والمنسوخ في القرآ، لتفسير المسند المسمَّى (ترجمان القرآن)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ينظر على النات، الأعلام: قصة الإسلام. تصفح يوم 28 ديسمبر 2021

[2]- الأخفشون ثلاثة أكبر وأوسط وأصغر: الأكبر هو عبد الحميد بن عبد المجيد (ت 177) والأوسط هو المعتزلي سعيد بن مسعدة، (ت 215هـ) ، أما الأصغر فهو أبو الحسن علي بن سليمان، (ت 315هـ)

الذي قال إن أفضل الاختيار في المقصّدات كانت للمفضل، وفي المقطعات كانت لأبي تمام. وقسمت جمهرة القرشي المختارات سبعة أقسام هي: المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهّبات والمراثي والمشوبات([1]) والملحمات وفي كل قسم سبع قصائد إلا المعلقات والمجمهرات وهناك مختارات عبد القاهر الجرجاني من دواوين المتنبي والبحتري وابي تمام وللمبرد الروضة اختار فيها من شعر المحدثين كما فعل أبو عبد الله هارون بن علي في "البارع" أما كتابه الاختيار الكبير فخصص لأشعار كل من بشار بن برد وأبي العتاهية، وأبي نواس. أما ابن طيفور([2]) فجمع مختارات من شعر بكر بن النطاح، و"دعبل" و"مسلم بن الوليد"، و"العتابي"، و"منصور النمري"، و"أبي العتاهية"، و"بشار بن برد" وآخرين، وله في كتاب جمع فيه اختيارات شعريّة ونثريّة.

الحماسات: من الدارسين من يرى أن الحماسات جاءت للتركيز على المقطعات التي صارت من ذوق العصر العباسيّ.

ومن الطبيعي أن يتدخل ذوق المؤلف الذي يوجهه في في اختياراته، ومن هذه الحماسات الحماسة البصرية، وفيه بيان للأغراض الشعرية والمعاني التي اشترك فيها الشعراء فكان لكلّ واحد منه طريقته في أدائها وبيانها، ومن ذلك في الباب الأول ذكر ابن الإطنابة وقوله الشهير:

أبت لي همتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح ...

لينتقل بعد ذلك إلى "العباس بن مرداس السلمي" المخضرم وقوله:

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي بوادي حنين والأسنة شُرّع

وقولي إذا ما النفس جاشت بها القرى وهام تدهدى بالسيوف وأذرع

---

[1]- يقصد بها القرشي- صاحب جمهرة أشعار العرب- قصائد شابها كفر وإيمان. وهو بذلك يشير إلى مرحلة انتقالية وسطى، وقد أشار محمد الصديق بغورة في كتابه "في النص الشعري العربي القديم وقضاياه"، الماهر العلمة 2019، ص 81 إلى معنى لدى حسان مناقض للقيم الإسلامية في قوله: جمعتموها أحابيشا بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيها.

[2]- أبو طاهر بن طيفور الخراساني 204-280، كان مؤدب أطفال، له نحو خمسين كتابا منها تاريخ بغداد والمنثور والمنظوم، وله شعر قليل. ينظر: الأعلام للزركلي، ج1، ص141

كأن السهام المرسلات كواكب إذا أدبرت عن عجسها وهي تلمع ([1]

[1]– ينظر: صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسين البصري(ت656هـ)، الحماسة البصرية،

المحاضرة السابعة : الشعر السياسي في المشرق والمغرب :

شكلت التجارب الشعرية بشتى تراكماتها الفكرية والفنية نسقا متكاملا من الرؤى، وتحولت إلى عدد من التقاليد المتبعة في فن الكلام، وحين حلول الإسلام تعرف العرب على عدد جديد من القيم فوجدوا أنفسهم أمام نسق لا عهد لهم به، مما جعل شعرهم يعيش مرحلة انتقالية ينتقل فيها الشعر إلى عهد جديد، مما أوحى لكثير من الدراسات بأن الشعر الجديد قد شهد شيئا من الضعف.

ولا بد من توكيد أمر هام قلما يُلتفت إليه وهو أن المرحلة الإسلامية مرحلة قصيرة زمنيا لم تتمكن من تكوين خصائصها إلا في العصر الأمويّ، في مرحلة جديدة استفاد فيها الشعر من مكوّن أساس جديد هو العامل الروحي الذي أضحى عنصرا أساسيا في تجربة العرب الشعرية، في مرحلة فقد فيها المدح المكانة المهيمنة التي كان عليها في العصر الجاهلي. ويمكننا التعرف إلى هاتين القيمتين حين نقرأ مثلا قول النابغة الجعديّ "50 هـ" [1] بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

علونا السماء عفّة وتكرّما وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا [2]

أما القيمة الثانية فتتجلّى في قول الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري ورده على شعراء المشركين الذين هاجموا الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم:

هجوتَ محمّدا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء [3]

اشتد الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم في قضية الخلافة باجتماع السقيفة الذي أبدى خلاله كل من فريق المهاجرين والأنصار رأيه في الموقف بالحجة والمشورة والمبايعة، أمّا الرأي الثالث فكان للفريق الغائب عن السقيفة، وقد كان مشكّلا من علي وجماعة من بني هاشم، وتمخض عن هذا الخلاف ثلاثة مواقف متباينة أشد التباين هي:

---

[1] – ينظر ديوان النابغة الجعدي، تحقيق واضح الصمد، دار صادر بيروت، ط1، 1998، ص8

[2] – ينظر المرجع نفسه، ص 10، وفي ص71 وقد ورد البيت في الديوان بطريقة أخرى هي: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا * وإنا لنرجو ... + ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت،1424، 2004، ص42.

[3] – ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1414، 1994، ص20 + ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح:عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت،1424، 2004، ص42 .

فكان موقف الأنصار الذين رأوا في سعد بن عبادة زعيم الخزرج أفضل خليفة لدوره في نصرة الإسلام، ورأي المهاجرين والنزعة القرشية: فعدّ أبو بكر الأحقّ بالخلافة، أمّا الفريق الثالث فهو فريق آل البيت الذي شغل عن اجتماع السقيفة بمراسم الدفن: عليي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، والعباس والزبير. ومن المؤكّد أن هذا الفريق قد فوجئ بأن البيعة قد تمّت في غيابهم ودون مشورتهم، كما علموا أن الخلافة وهبت على أساس القرابة والقرشية والسبق الإيمانيّ، فوجدوا كلّ تلك الحجج واهية؛ وفي مقدمتها عدم تحقق ركن أساس في إقامة حق الخلافة وهو الشورى؛ ذلك أن المشورة لم تشملهم بالرغم من كونهم أصحاب الشأن الأوائل، كلّ ذلك جعل ردهم قويا على الأنصار وغيرهم بأكثر من مقياس ومنطق: فهم الأهل والأهل قبل العشيرة. والسبق في الإسلام هو لعلي الأكثر جهادا وشجاعة وعلما وفُتيا وتفسيرا وحفظا وبلاغة، لذلك يروى أنّ عليا بن ابي طالب قال: "احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة" ويروى أنه أنشد معلقا على حُجة أبي بكر الصديق:

فإن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيّب؟

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب [1]

وهذا يعني أن عددا من الأحداث الهامة أنتجت في تاريخنا الإسلامي الطويل فريقين كبيرين متنازعين هما السنة والشيعة، ومن هذين الفريقين الهامين تفرعت مجموعة من المذاهب والفرق الإسلامية المستمرة والمندثرة. [2] وما يهمنا في عالم الأدب والفكر هو الطابع الحجاجي الذي نما في الخطب والكتابات والأشعار. ثم إنه لمن الواضح أنّ هذا الخلاف قد مسّ جوانب سياسية محددة، ولم يمسّ الدين في جوهره، لذلك فقد خفتت أزمة الخلافة بعد مدة، ثم إن هذا الخلاف السياسي قويَ أثناء قيام الدولة الأموية، وبعد قيامها، حين استطاع بنو أمية امتلاك الحكم فتولّد عن ذلك ظهور مجموعة من المعارضين السياسيّين الذين اشتدت معارضتهم، وتنوعت أحزابهم في العراق وغيرها، وفي بيئة تنوّعت مواقفها بين عرب موالين لبني أمية في الشام خاصة، وعرب معارضين صامتين في الشام، خوفا من المصير المَهُول الذي كان قد أصاب الزبيريين، ومن

---

[1]– قصده أن الشورى لم تتم لأن أهل البيت غابوا عن المبايعة منشغلين بدفن النبي صلى الله عليه وسلم .

[2]– سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات: النشأة التاريخ العقيدة التوزيع الجغرافي، دار الأوائل دمشق، ط3، 2005، ص 19 وما بعدها.

رافضين مقاومين خاصة في بلاد العراق حيث تنوّعت الفرق المناوئة لبني أمية من زبيريّين وشيعة وخوارج. [1]

ومن الواضح أن كلّ هذه الأحداث التاريخيّة السياسيّة كانت قد أجّجتها المشاعر الدينية، ثم كان للشعر دور في التعبير عنها مجسدا أفكار شتى الحركات السياسية، خاصة في المرحلة الأموية حين اشتد بينها الصراع، فعرف هذا النوع من الشعر السياسيّ، لكن علينا مع كل ذلك أن نقر بأمر هام هو أن أي فن من الفنون لا يخلو من جانب سياسي جزئيا كان أو كليا، لذلك فالقصد بالشعر السياسي ليست الإشارة السياسية هنا وهناك، إنما التناول القصدي للأمر السياسي الذي يعني صراع المنشغلين بأمور الحكم وعوالمه الفكرية والعملية في تسيير شؤون الناس؛ فبهذا التحديد الاصطلاحي يمكننا أن نميّز بين الشعر السياسي المباشر، والشعر عامّة كونه – هو ذاته – ظاهرة سياسية؛ لأنّه جزء من الإنسان والإنسان حيوان سياسيّ، ولا بد من الإشارة هنا إلى مراحل نمر بها ونجد أنفسنا في أطر فكرية، فيبدو الالتزام أمرًا ضروريّا، لكن غياب الموقف والالتزام منساقين وراء المقاييس الجمالية قد يجعلنا ذوي التزام آخر هو الالتزام الجمالي. [2]

وإذا كانت المدائح الجاهلية جزءا من سياسة القبيلة، وما تتسم به من نزعة قبلية تجعل معظم الشعراء يؤجلون فرديتهم أو يلغونها، فإنّ كثيرا من المفاهيم السياسية التي تناولها الشعر في صدر الإسلام انتقلت من الصراع بين القبائل إلى الصراع بين القبيلة كلّها كونها نسقا عقديًّا وفكريا فنيا بسمات معينة، وبين مجموعة الإسلام الأولى المتصلة بنسق جديد، يناقض كثيرا من تلك القيم والأنساق الاجتماعية والفكرية والفنية الجاهليّة.

وكان للسياسة أثر كبير في تغيير غايات بعض الأغراض ومنها الغزل الذي صار وسيلة من الوسائل الفنية في أداء الهجاء السياسي ؛ كما نجد ذلك عند العرْجيّ – عبد الله بن عمرو بن

---

[1]– طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981، ص ص 474-475.

[2] –Voir : Soubbotnik Michael A., « Poésie et politique », *Revue Française d'Histoire des Idées Politiques* 2/2007 (n°26),p. 3-5 URL: www.cairn.info/revue-francaise-d-histoire-des-idees-politiques1-2007-2-page-3.htm.

DOI : 10.3917/rfhip.026.0003. –

عثمان بن عفان– الذي شبّب بجيداء أمّ محمد بن هشام، لا لشيء سوى فضح ابنها، ومن هنا غدا هذا الشعر هجاء الأسلوب من أساليب التعبير الفني غزلا سياسيا يقصد به الهجاء. [1]

ومن الملاحظ كذلك أن عددا من شعراء الفترة الأموية كانوا متقلبي الانتماء إن لم نقل عديميه؛ خوفا من بطش الحكّام: فابن قيس الرقيات (75هـ) مثلا كان ذا هوى زبيري، لكنّه بعد انتصار الأمويين ترك هواه السياسي الأول واندمج ضمن مداحي الغالبين. أما الظاهرة الأخرى فكانت في شعراء الحجاز الذين انشغلوا عن الأمويين وحراكهم السلطوي الذي عرف كيف يلهيهم بحياة الغناء واللهو والغنى وشتى المتع المادية. خلافا عما كان سائدا في مجموعة من المدن التي كانت مسكونة بالهم السياسي فكان شعراؤها بين مؤيد للسلطة الأموية مثلما نجد ذلك عند شعراء الشام عموما، ومعارض كما نجد ذلك عند كثير من شعراء العراق.

ويمكن القول إن المشكلات السياسية التي حلّت بالحكم الأموي قسمان: أحدهما كان بسبب تشبث آل البيت برأيهم في أنهم الأحقّ بالحكم، والثاني هو التحولات السياسية والاجتماعية التي كانت مناقضة للروح الإسلامية كوراثة الحكم وما يستتبعه من استبداد، ورفض المعارضة واستباحة أعراض الناس وأموالهم ودمائهم، وتحوُّل بيت مال المسلمين منذ معاوية إلى "بيت مال الله"، وذلك يعني تحوّلا في مفهوم الحكم إلى تفويض إلهي.

ومن الأسباب أيضا ظهور الإعدام السياسي لأول مرة في تاريخ المسلمين السياسي وكان قد تم ذلك بقتل كلّ من "حجر بن عديّ الكِنديّ"، و"عمر بن الحمق الخزاعي"، وأصحابهما من الشيعة، وحكم اليزيد الذي لم يكن معلما دينيا، بل على العكس من ذلك فقد كانت العامة والخاصة عارفة بآنحرافاته التي لم يكن يتورع عن التصريح بها، ويعدّ قتل الحسين الحلقة الأخيرة التي ختمت بها سلسلة الأسباب العميقة التي أدّت إلى سقوط الدولة الأموية. [2]

وقد لا يختلف الصراع السياسي في جوهره في عصر بني أمية عن ذلك الصراع القديم خاصة، وقد بدأت المفاخر الجاهلية تطفو على سطح الشعر، وعلى سطح الحياة في الوقت نفسه، ومن هنا ندرك أنّ الأحزاب السياسيّة، وهي تناضل ضد الأمويين إنّما كانت تحاول إنقاذ نسق قيمي آمنت

---

[1]– جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1 ص ص495 – 496 – الشعر والشعراء، ص386

[2]– سعد رستم، الفرق والمذاهب **الإسلامية** منذ البدايات: النشأة التاريخ العقيدة التوزيع الجغرافي، ص59 وما بعدها

به، ولعلّ المؤيدين للحكم الأموي – إخلاصا أو تزلفا– إنّما كانوا في حقيقة الأمر يعملون على تكريس واقع سياسي، فرض نفسه مع ما في تلك الحركة الشعرية من عودة فنية وفكرية إلى قيم جاهلية في جوهرها؛ إسلامية في تبريراتها، بل وفي أسلوب تعبيرها.

2–النزعات والسلطة العربية بعد الخلفاء:

يستوقفنا تاريخ السلطة العربية بعد الخلفاء الراشدين عند أربع كتل أو نزعات:

الكتلة العلوية:

وهي الكتلة الصلبة التي واجهت في البداية الأمويين لكنّها بعد مآسي كربلاء تغيّرت سلوكاتها السياسية كما تغيرت سلوكات أقطابها، ومنهم علي بن الحسين الذي صار رمزا للتفرغ للتعبد حتّى لقب بالسجّاد، ولم يكن ولده الباقر بعيدا عن هذا السلوك المستسلم، وبلغ الأمر سوءا حين صارت الهاشمية رمزا للفقر الشديد.

الكتلة العباسية:

وهي الطاقة العارضة التي بدأت حملتها عام111هـ، مستغلّة مأساة الهاشميين والعلويين تستدر بها عطف الرعية وصولا إلى غايتها السياسية.

الكتلة اليمانية:

هي كتلة معارضة بدأت تقترب من النفوذ لكن السلطة الأموية وقفت لها بالمرصاد؛ مما جعل زعيمها خالد القسريّ في محاولة كسب ود الحكام الأمويين يسبُّ عليا والسخرية من الدين والتديّن مع زعمه بأن "الخليفة" الأموي أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم. [1]

+إنّ متتبع الحركة الشعرية المسيّسة يلاحظ نشاط فئتين كبيرتين؛ الأولى مؤيدة للأمويين والثانية معارضة لهم.

3– من شعراء موالاة ملوك بني أمية:

---

1 – ينظر شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم داود سلوم، مكتبة الأندلس بغداد، 1969، ص 14، 15

قد لا نجد وصفا أدق للشاعر الموالي للسلطة الأموية من كلمة "المحترف"؛ لأنها تعني تحول الشاعر إلى عارف بالقول؛ موظفا إيّاه؛ لتحقيق منفعة آجلة، وليس خدمة لقيم إنسانية، تؤهل النص للخلود، وقد يلخّص الدافع الأساس لموالاة بعض شعراء العصر الأموي في قول جرير:

إني لمُرتقب لما خوّفتني ولفضل سيبك[1] يا ابن يوسفَ راجي [2]

فقد ظهر جليّا خوف الشعراء، وطمعهم في ما عبّروا عنه من معان بعيدة عن الواقع التاريخي، –بل وهذا هو الأهم – بعيدة عن الواقع الشعري الذي يرسم للخيال أسسًا، تجعل المعنى ينساب انسيابا. ويمكن أن نتعرّف إلى كل ذلك في قول جرير مثلا في مدح هشام بن عبد الملك " ابن عائشة ":

لولا ابن عائشة المبارك سيبُه أبكى بني وأمهم طول الطوى

إن الرصافة منزل لخليفة جمع المكارم والعزائم والتقى

ما إن تركت من البلاد مضلة إلا رفعت بها منارا للعدى [3]

وكما في قوله:

الله أعطاكم من علمه بكمْ حكما وما بعد حكم الله تعقيب

أنت الخليفة للرحمن يعرفه أهل الزّبُور وفي التوراة مكتوب [4]

وقال الفرزدق في يزيد:

ولو صاحبته الأنبياء ذوو النُّهى رأوه مع الملك العظيم المسوّدا

فلا أم إلا أم عيسى علمتها كأمّك خيرا أمهات وأمجدا [5]

فمن الجلي أنّ مداحي السلطة الأموية قد أثاروا نقطة فكريّة هامة حساسة مُربكة ما انفكت تؤرق الحكم حتى تعاظمت وشكلت ما يشبه العقدة السياسية، وهي الشرعية الدينية، ومن المسلم به أن

---

[1] – جاء في لسان العرب أنه "العطاء والعرف والنافلة وفي حديث الاستسقاء "واجعله سيبا نافعا أي عطاء

[2] – عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية،1407/ 1987، ص306 وما بعدها

[3] – ديوان جرير، دار بيروت، 1406، 1986، ص ص 9، 10

[4] – عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص307

[5] – المرجع نفسه، ص308 .

ملوك الأمويين وأمراءهم كانوا يدركون – بعلمهم ومعرفتهم للنص وفنونه – أنّ مداحيهم كانوا في حقيقة الأمر مجرد مزيفين للمشاعر والمعاني والقيم، لكنهم لم يجدوا بدّا من غضّ الطرف عن هذا الكذب الجمالي؛ أملًا في أن يقوم بدور الدعاية لهم – على الأقل – في الأوساط الساذجة التي كان حظهم من الثقافة السياسية والدينية والتاريخية غير وفير.

4-الزبيريون: الكميت[1] أشهر من يمثل المعارضة الهاشمية ويروي ابن قتيبة [2] أنّ الفرزدق قال له مرّة حين كان صبيّا: يا غلام أيسرُّك أني أبوك؟ فقال الكميت أمّا أبي فلا، أريد به بدلا، ولكن يسرّني أن تكون أمّي... فالكميت يقف هذا الموقف الساخر من الفرزدق انطلاقا من ثورة نفسية داخلية مبكّرة، إنها الثورة التي ستنمو ليغدو بعد ذلك شديد التشيّع لآل النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول:

يقولون لم يورث ولولا تراثه لقد شركت فيه بكيل وأرحب

وعك ولخم والسكون وحمير وكندة والحيان بكر وتغلب

ولانتشلت عضوين منها بَحابِرٌ وكان لعبد القيس عضو مؤرب

ولا كانت الأنصار فيها أدلة ولا غيبا عنها ‘ذا الناس غُيَّبُ [3]

فقد عرف الشاعر بتناول قضايا الحكم، وتمجيد آل البيت، وتأكيد حقّهم في خلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما ميز شعره في الموضوع بكثافة الاحتجاج والروح الخطابية الحماسية. كما في قوله مبرزا زهده وروحه الثورية:

طربتُ وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب؟!

ولم يلهني دار ولا رسم منزلٍ ولم يتطربني بَنان مخضّب

إلى أن يقول:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

---

[1] – عاش الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بين سنتي 60–127هـ، ويذكر الجاحظ أنه خطيب، مدح طائفة من ملوك بني أمية قبل أن يصبح هاشمي النزعة. ينظر:"شعر الكميت بن زيد الأسدي، ص7 وما بعدها

[2] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص390

[3]– عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص 278

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نالني أتقرب

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

فهو بهذه الروح الدينية السياسية الحجاجية قد أنشأ شعرا سياسيا حزبيا خاصا.

وهو بسبب التركيز الحجاجيّ نراه يكرر عبارات وصيغا، وكلمات وعبارات كثيرة في الموضوع ذاته غايتها هي إثراء النص موسيقيّا كذلك:

وفيهم نجوم الناس والمهتدى بهم إذا الليل أمسى وهو بالناس أليل

***

وإنهم للناس فيما ينوبهم أكف ندى تجدي عليهم وتفضل

وإنهم للناس فيما ينوبهم عرى ثقة حيث استقلوا وحللوا

وإنهم للناس فيما ينوبهم مصابيح تهدي من ضلال ومنزل

ويمضي في الموضوع المدحي نفسه مؤكدا بالتكرار:

وإنهم للناس فيما ينوبهم أكف ندى تجدي عليهم وتفضل

وإنهم للناس فيما ينوبهم عرى ثقة حيث استقلوا وحللوا...

فهذا التكرار يؤكد المهمة الخطابية التي كلف الشاعر القصيدة أداءها.

والكميت بفعل حماسه، وتوكيده، وبحثه عن ألوان من التوكيد كان سباقا إلى ما عرف عند العباسيّين بالبديع:

والحماة الكفاة في الحرب إن لفّ ضرام وقوده بضرام [1]

وهو اتجاه في التعبير يبدأ في الانتشار عند الأمويين، ثم يصير توجُّها فنيًّا، خاصة لدى أبي تمام بعد ذلك.

أما ابن قيس الرقيات فقد قال في مدح مصعب بن الزبير[1]:

1-السرقسطي، أبو محمد القاسم بن ثابت، الدلائل في غريب الحديث، ج3، تحقيق محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، ط1، 1422، 2001، الرياض، ص1021 .

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء...[2]

وقال جرير مادحا أحد ملوك الأمويّين:

نجيب أريب كان جدّك منجبا وأدت إليك المنجبات العفائف

وتصل عناية الكميت بموسيقاه قمتها في التقسيم كما في قوله:

مستفيدين متلفين مواهيب مطاعيم غير ما إبرام

مسعفين مفضلين مساميح مراجيح في الخميس اللهام...

وهكذا يتبيّن أنّ الرفض السياسي استتبع بحثا جادا عن أسلوب شعري يتلاءم والتجربة الشعرية، وينسجم مع الرسالة السياسية؛ ليحقق تأثيرها في المتلقي، وبمثل هذا البحث استطاع الشاعر أن ينفلت من التقليد في مغامرته الشعرية محاولا التوفيق بين الأداء الفني الجمالي والأداء السياسي.

5- من شعر المؤيدين:

للشعراء المؤيدين مواقف تبارك سلطة الأمويين، وتجود بالكلم مقابل جود، كان البعض يبالغ فيه، لكن الهدايا لم تكن وحدها المحرك لذلك المدح؛ إذ أن لهم مواقف كثيرة عبروا فيها الخوف الشديد من السلطة، كما يتجلى ذلك في قول الفرزدق:

إذا وعد الحجاج أو همّ أسقطتْ مخافتُه ما في بطون الحوامِلِ[3]

ولقد كان هذا الإعلان عن الخوف في جوهرة وفي قراءته العميقة إدانة للسلوك الوحشي الذي انتهجته السياسة الأموية من خلال الحجاج بن يوسف المعروف في التاريخ بجرائمه، حتى غدا رمزا كبيرا من رموز الدموية في التاريخ الإسلامي برمته، ولا يستبعد أن يكون الشاعر قد قصد إلى هذه الدلالة المزدوجة.

---

[1]-مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أمير العراقين . أبو عيسى وأبو عبد الله، لا رواية له كان فارسا شجاعا، وسيما، حارب المختار وقتله، وكان سفاكا للدماء، سار لحربه عبد الملك بن مروان، وأمه هي الرباب بنت أنيف الكلبية، وكان يسمى- من سخائه- آنية النحل.

[2]- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص499 .

[3] - ديوان الفرزدق، تح: شاكر الفحام، م.ج الجزائر، ص167

أما جرير فكان زبيري النزعة شأنه في ذلك شأن أبناء مضر، غير أنه بعد مقتل عبد الله بن الزبير توسّط له الحجاج في الاتصال بعبد الملك بن مروان بادئا حياة مدحية جيدة موالية للأمويين.[1]

وكثيرا ما يبالغ الشعراء المؤيدون في تعظيم الملك الأموي خلافا لما هو معروف تاريخيا، لكن يبدو أن ضعف العلاقة العاطفية بين الشاعر والممدوح قد فرض أسلوبا معينا عماده المبالغة لتغطية الفتور العاطفي. قال جرير:

إنّ الرصافة منزل لخليفة جمع المكارم والعزائم والتقى

وقال:

كونوا كيوسف لما جاء إخوتهواستعرفوا قال ما في اليوم تثريب

وقال:

الله فضله ، والله وفقه توفيق يوسف إذ أوصاه يعقوب

وقال:

نال الخلافة إذ كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر [2]

وقال الفرزدق:

فأنت لِربّ العالمين خليفة ولي لعهد الله ، بالحق عارف

وقال:

هداك الذي يهدي الخلائق للتقى وأعطيت نصرا لم تنله الخلائق

وتبدو هذه المبالغة متصلة بضعف التجربة وانعدام اكتمالها في قوله:

ولو صاحبته الأنبياء ذوو النهى رأوه مع الملك العظيم المسودا

فلا أمّ ، إلا أمّ عيسى، علمتها كأمك خيرا أمهات وأمجدا

وتبدو هذه المبالغة التي يكذبها التاريخ وحقائقه في قوله:

إلى ابن الإمامين اللذين أبوهما إمام له لولا النبوة يسجد [1]

---

[1] – ديوان جرير، ص6 .

[2] – عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص 310

ولم يكن الملوك الأمويون يجهلون لا اللغة ولا الشعر ولا أيام العرب ولا تاريخهم السياسي، غير أنهم رأوا في شعر المتزلفين بعض الغايات الدعائية تتحقق وتستطيع استمالة النفوس الساذجة والتي في عمقها طمع ما. وأمام هذه الدعوى ينكشف التعمّل والتخبط في تبرير ما لايبرر، فيسقطون في مفاخر الجاهلية ودعواها، ويبدو أن تحوّل النص الشعري إلى أداة كسب كان وراء ذلك.

يقول جرير(111هـ) مستجديا وبلغة أشبه ما تكون إلى لغة التّسول:

لولا ابن عائشة المبارك سيبه أبكى بنيَّ وأمهم طول الطوى... [2]

وكما في قوله:

أشكوا إليك ، فأشكني ذرية لا يشبعون وأمهم لا تشبع

كثروا علي فما يموت كبيرهم حتى الحساب ولا الصغير المرضع

ولم يكن الفرزدق مختلفا اختلافا كبيرا عن جرير في مثل هذه المسألة المُشينة التي تحط من قيمة الشعر والشاعر جميعا:

تسائلني ما بال جنبك جافيا أهم جفا أم جفن عينك أرمد

فقلت لها بل عيال أراهم ومالهم ما فيه للغيث مقعد

فقالت أليس ابن الوليد الذي له يهين بها الإمحال والفقر يطرد

يجود وإن لم يرتحل يابن غالب إليه وإن لاقيته فهو أجود [3]

فالأبيات فضلا عما فيها من استجداء وما في الاستجداء من هدر للكرامة، فهي تزيد من حدّة هذا الهدر حين يتغزل اسم الزوجة بالممدوح.

هكذا كان الشعر السياسي إذن في هذه المرحلة الحرجة من التاريخ الإسلامي حيث عملت السلطة على تحويل الشعراء إلى امتداد للسلطة مستعملة في ذلك كثيرا من الترغيب وكثيرا من الترهيب أيضا، وهي في غايتها تلك لم تتورع عن العودة بالشعراء إلى العهود الجاهلية التي سادت فيها العلاقات القبلية ومفاخرها، وحتى من الناحية الفنية فقد ظل الطلل والتصريع جزئين هامين من

---

[1] – نفسه، ص 310

[2] – عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص 310

[3] – ديوان الفرزدق، ص212

النص الشعري، وبذلك فقد كان تكريس الشكل القديم تكريسا في الوقت نفسه لعدد من المفاهيم والرؤى الاجتماعية والسياسية القديمة التي كاد أن يختصر الشعر خلالها في غرض واحد هو المدح.

المحاضرة الثامنة : شعر الحكمة والشعر الفلسفي

1- شعر الحكمة:

هو أحد الأغراض الفنية المتناولة، ويُعرّف بأنّه: نوعٌ فنيّ يُحاوِل به صاحبه إيصال تجاربه وخلاصة حياته بين الناس، وهو إنجاز فني له مسيرة تاريخية طويلة في الأدب العربيّ، فقد ظهر بشكل بسيط في الجاهليّة على أيدي عدد من الشعراء أبرزهم زهير بن أبي سلمى، ولقد بلغت أهميته درجة من السمو جعلت تناوله من أهم شروط الفحولة عند النقاد.

نماذج من شعر الحكمة في الجاهلية:

زهير بن أبي سلمى:

احتوت معلقة زهير بن أبي سلمى عددا من الحكم التي تمثل ذهنية الإنسان الجاهلي ونظرته إلى الحياة والمجتمع، كما أنها تصور قسوة المحيط الاجتماعي والسياسي الذي اشتهر بكثرة الحروب. يقول الشاعر:

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ[1]

ففي الأبيات الثلاثة الأولى تعبير عن اللغز الأزلي الذي حير الإنسان: الزمن والموت، أما الأبيات الثلاثة الموالية فقد كانت ذات دلالة اجتماعية، قدّم الشاعر من خلالها نصحا بضرورة التعامل الجيّد مع الناس، بعد ذلك حثّ الشاعر في ثلاثة أبيات على ثلاثة أخلاق: أولها الوفاء، وثانيهما الشجاعة، وثالثها الكرم بمعناه الاجتماعي الواسع، ليختم بالحث على إيثار السلم، مع اليقظة في كل حين، للدفاع عن النفس والجماعة، محذرا ممّا يسود الحياة الجاهلية من مظالم. وبذلك يقف الشعر الجاهلي عند حدود التأمل البسيط؛ كونه غير مستند إلى معين فلسفي يمتح منه.

طرفة بن العبد:

أرى الموت يعتام[2] الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام و الدهر يزدد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطوال المرخى وثنياه باليد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد [3]

وهذا يؤكد أهمية موضوع الموت في الشعر الجاهلي، وتأمل أسبابه وحتميته، كما يتبين أصل العبارة الشعبية التي نرددها "الموت ينتقي الأخيار" .

ومن شعراء الحكمة في العصر الجاهلي السموأل (ت نحو 65 ق هـ) (نحو 560 م)، غير أن محقق الديوان ذكر أن وفاته كانت سنة 616م. والسموأل هو ابن غريض بن عادياء الأزدي. شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر شمال المدينة. أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلُّ رداء يرتديه جميل[1]

---

[1]– ديوان زهير بن أبي سُلمى، تح علي حسن فاعور دار الكتب العلمية بيروت ط1/1408-1988، ص ص 102-112

[2]– اعتامه : اختاره. ينظر: هامش الصفحة 49 في الديوان

[3]– ديوان طرفة بن العبد، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون البحرين، المؤسسة العربية بيروت، ط2/2000، ص49

وهو مطلع حكمي في غاية الأهمية، عرض فيه الفرق الشاسع بين مظهر الإنسان ومخبره، وبين جماله الخارجي ونصاعته الخلقية الإنسانية العميقة.

يقول الشاعر في هذه القصيدة:

وَإن هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَفسِ ضَيمَها فَلَيسَ إِلى حُسنِ الثَناءِ سَبيل

تُعَيِّرُنا أَنّا قَليـــلٌ عَديـدُنا فَقُلتُ لَهـــا إِنَّ الكِرامَ قَليلُ

وَما قَلَّ مَن كانَت بَقاياهُ مِثلَنا شَبابٌ تَسامى لِلعُلى وَكُهولُ

وَما ضَرَّنا أَنّا قَليلٌ وَجارُنا عزيزٌ وَجارُ الأَكثَرينَ ذَليلُ[2]

والشاعر في قصيدته هذه يجعل القيم الخلقية الرفيعة أساس رفعة الإنسان، محذرا من المظاهر بالزائفة الخداعة، ومن هذه المظاهر أيضا الجانب الكمي أو العددي؛ فالكثرة لا تعني الرفعة ولا الغلبة، بل النوعية هي الأساس وهذا ما ينطبق اليوم على اليهود الذين استطاعوا ولظروف كثيرة ولأسباب متعددة تحدي العالم الإسلامي رغم الفرق العددي بين الجانبين.

وهي من أجود الشعر الجاهلي. ومن الدارسين من ينسبها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارث.

شعر الحكمة في العصر الإسلامي:

الأخلاق: تناول شعر الحكمة في العصر الإسلامي الأخلاق داعية إلى التسامح والجدّ والكلام الطيب والمعاملة الطيبة.

الحكم الدينية: وتناول شعر الحكمة كذلك موضوع التقوى وحتمية الموت وقول الحق وفعل الخير والتفاؤل بالتوكل على الله والصبر والرضا بالقضاء والقدر، والعمل الصالح الذي يرجو به العبد نيل الجنة.

الحكم ذات البعد الإنساني: وهي التي تتناول العلاقات الإنسانية وقد تنزه فيها المرء من انتماءاته الضيقة دينيا ولغويا وعرقيا والغاية منها هي تحقيق الكرامة الإنسانية.

---

[1]- الزركلي، الأعلام، ج3، ص140

[2]- ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار بيروت، 1402-1982، ص90

الحكمة عند الشعراء المخضرمين:

تناول الشعراء المخضرمون الذين عاشوا فترتي الجاهلية والإسلام الحكمة فجمعوا بين تجاربهم الجاهلية ومكتسباتهم الفكرية الجديدة في ظل التعاليم الإسلامية السمحاء.

لبيد بن ربيعة العامري(545-661م):

أَلا تَسأَلانِ المَرءَ ماذا يُحاوِلُ أَنَحبٌ فَيُقضى أَم ضَلالٌ وَباطِلُ

حَبائِلُهُ مَبثوثَةٌ بِسَبيلِهِ وَيَفنى إِذا ما أَخطَأَتهُ الحَبائِلُ

إِذا المَرءُ أَسرى لَيلَةً ظَنَّ أَنَّهُ قَضى عَمَلاً وَالمَرءُ ما عاشَ عامِلُ

فَقولا لَهُ إِن كانَ يَقسِمُ أَمرَهُ أَلَمّا يَعِظكَ الدَهرُ أُمُّكَ هابِلُ

فَتَعلَمَ أَن لا أَنتَ مُدرِكُ ما مَضى وَلا أَنتَ مِمّا تَحذَرُ النَفسُ وائِلُ

فَإِن أَنتَ لَم تَصدُقكَ نَفسُكَ فَانتَسِب لَعَلَّكَ تَهديكَ القُرونُ الأَوائِلُ

فَإِن لَم تَجِد مِن دونِ عَدنانَ باقِياً وَدونَ مَعَدٍّ فَلتَزَعكَ العَواذِلُ

أَرى الناسَ لا يَدرونَ ما قَدرُ أَمرِهِم

بَلى كُلُّ ذي لُبٍّ إِلى اللَهِ واسِلُ

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

وَكُلُّ أُناسٍ سَوفَ تَدخُلُ بَينَهُم دُوَيهِيَةٌ تَصفَرُّ مِنها الأَنامِلُ

وَكُلُّ اِمرِئٍ يَوماً سَيَعلَمُ سَعيَهُ إِذا كُشِّفَت عِندَ الإِلَهِ المَحاصِلُ

لِيَبكِ عَلى النُعمانِ شَربٌ وَقَينَةٌ وَمُختَبِطاتٌ كَالسَعالي أَرامِلُ

لَهُ المُلكُ في ضاحي مَعَدٍّ وَأَسلَمَت إِلَيهِ العِبادُ كُلُّها ما يُحاوِلُ[1]

حسان بن ثابت:

قال حسان بن ثابت (الوافر):

أَخِلّاءُ الرَخاءِ هُمُ كَثيرٌ وَلَكِن في البَلاءِ هُمُ قَليلُ

فَلا يَغرُرْكَ خُلَّةُ مَن تُؤاخي فَما لَكَ عِندَ نائِبَةٍ خَليلُ

---

[1]- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صار بيروت، ص132

وَكُلُّ أَخٍ يَقولُ أَنا وَفِيٌّ وَلَكِن لَيسَ يَفعَلُ ما يَقولُ

سِوى خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدينٌ فَذاكَ لِما يَقولُ هُوَ الفَعولُ[1]

كعب بن زهير(ت26هـ) الطويل:

وقال كلُّ خلـيلٍ كنـتُ آمـلُهُ لا ألفينَّكَ.. إني عنك مشغولُ

فقلتُ: خلُّوا طريقي، لا أبا لكمُ، فكلُّ ما قـدَّرَ الرحمنُ مفعولُ

كلُّ ابنِ أُنثى . وإنْ طالت سلامتهُ يومًا على آلةٍ حدباءَ محمولُ[2]

الشعراء الإسلاميون:

ونسب إلى علي بن أبي طالب قوله (الوافر):

تَغَيَّرَتِ المَوَدَّةُ وَالإِخاءُ وَقَلَّ الصِدقُ وَانقَطَعَ الرَجاءُ

وأَسلَمَني الزَمانُ إِلى صَديقٍ كَثيرِ الغَدرِ لَيسَ لَهُ رَعاءُ

وَرُبَّ أَخٍ وَفَيتَ لَهُ بِحَقٍّ وَلَكِن لا يُدومُ لَهُ وَفاءُ

أَخِلّاءٌ إِذا اِستَغنَيتُ عَنهُم وَأَعداءٌ إِذا نَزَلَ البَلاءُ [3]

الحطيئة:

وهو جرول بن أوس بن مالك، ولقبه الذي عرف به هو الحطيئة ويعني " القصير" وكنيته هي أبو مليكة، وهو من اشد الشعراء العرب القدامى في فن الهجاء، ومن أقوى ما قيل في شعره:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[4]

---

[1]- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح وتقديم عبد أ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط 2/ 1414 – 1994، ص ص199-200

[2]-ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، 1417-1997، ص65

[3]- ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه،طبعة مصححة ومنقحة على الرواية الصحيحة، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط1/1409-1988، ص7

[4]- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1413-1993،ص24

فقد جعل مهجوه مجرد بهيمة تأكل وتشرب، وتلاعب بصيغة اسم الفاعل الطاعم والكاسي وجعلهما دالتين على المفعولية، ليضيف سخرية نحوية إلى السخرية الاجتماعية، وهو من أشهر شعراء النقائض في العصر الأموي.

الحطة من أشهر شعراء النقائض،

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد

وما لا بد أن يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد [1]

وقال أيضا:

إذا خافَكَ القَومُ اللِئامُ وَجَدتَهُم سَراعاً إِلى ما تَشتَهي وَتُريدُ

وَإِن أَمِنوا شَرَّ اِمرِئٍ نَصَبوا لَهُ عَداواتِهِم إِمّا رَأَوهُ يَحيدُ

فَداوِهِمُ بِالشَرِّ حَتّى تُذِلَّهُم وَأَنتَ إِذا ما رُمتَ ذاكَ حَميدُ

وَهُم إِن أَصابوا مِنكَ في ذاكَ غَفلَةً أَتاكَ وَعيدٌ مِنهُمُ وَوَعيدُ [2]

شعر الحكمة في العصر الأمويّ:

الفرزدق:

يا طالب الطب من داء تخوفه إن الطبيب الذي أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذي يرجى لعافية لا من يذيب لك الترياق بالماء[3]

الأخطل:

واسمه "غياث بن غوث بن طارقة"، ويكنى أبا مالك، ولقب بذي الصليب، وأمه ليلى نصرانيّة من إياد، وكان من المشهورين بالإجادة في وصف الخمر، ولم يمنعه نصرانيته قول الحق كما في بيته الشهير:

إذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

---

[1]– ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، ص79

[2]–ديوان الحطيئة، ص76

[3]– ديوان الفرزدق، شرح وضبط وتقديم: علي فاعور،

وفي قوله:

ما يضير البحر أضحى زاخرًا أن رمى فيه غلامٌ بحجر[1]

الحكمة في الشعر العباسي:

تميز العصر العباسي بامتزاج الثقافات وانفتاح الثقافة العربية على الفلسفة والمنطق، فأدى ذلك إلى ظهور معان جديدة في الشعر، ومنها المعاني التي جاءت في فن الحكمة.

يقول بشار بن برد(95-167هـ) [2] في الحث على الحكمة والاستعانة بعقول الآخرين:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار[3]

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعن برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تجعلِ الشّورى عليك غضاضةً مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ[4]

فبعض الأمور المعقدة نكون فيها محتاجين للناصح الأمين المجرب العارف الحازم الذي لا يغرق في التفكير والتنظير، ومن الحمق أن نرى الاستنصاح نقيصة، لأننا مهما بلغنا من القوة والفكر فإن ذلك لا يعني أبدا أننا في غنى عن الاستعانة بالآخرين.

ويقول ابن الرومي:

أبي وأبوك الشيخ آدم تلتقي مناسبنا في ملتقى منه واحد[5]

ومن شعراء الحكمة في العصر العباسي المتنبي الذي اطلع على حكم العرب واليونان وغيرهما ثم صاغها بأسلوب عربي أصيل فقدمها لنا وكأنها نبتت في البيئة العربية.

يقول المتنبي:

---

[1]- ديوان الأخطل، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، ط2/1414/1994، دار الكتب العلمية بيروت،

[2]- وردت ترجمته كاملة في أعلام الزركلي، ج2، ص52

[3]- ديوان بشار بن برد، شرح محمد الطاهر بن عاشور، ج1، علق عليه رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين، 1369-1950، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ص24

[4]- ينظر أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج1، دار الكتب العلمية، تح: أحمد حسن بسج، 2009، ص55

[5]-

وردت الحكمة في مطالع قصائد المتنبي كما في قوله:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا و حسب المنايا أن يكن أمانيا[1]

أو في قوله:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد [2]

وفي ثنايا قصائده نجد كثيرا من الحكم التي أصبحت ذات طابع إنساني شامل، ومنها قوله:

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

أو قوله:

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يَشُق على السادات فعالُ

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال [3]

وهذا ما قاله الطغرائيّ يعد ذلك: [4]:

حب السلامة يُثني هم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

وإنما رجل الدنيا وواحدُها من لا يعوّل في الدنيا على أحد

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

أما أبو العتاهية فقال:

ما يحرز المرء من أطرافها طرف إلا وفاجأها النقصان من طرف

يا جامع المال في الدنيا لوارثه هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع

1- ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج4، دار الكتب العلمية، ص281

2- ديوان المتنبي، شرح العكبري، ج2، ص39

3- ديوان المتنبي، شرح البرقوقي ، ص406

4- هو مؤيد الدين الحسين بن علي بن عبد الصمد الطغرائي الأصبهاني (454 . 515). عرف بـ"لامية العجم" التي مطلعها: (أصالةُ الرأي صانتني عن الخطلِ وحليةُ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ). ينظر على النات: بدر عبد الحميد هميسه، شاعر وقصيدة لامية العجم، الطغرائي الأصفهاني. تصفح يوم 30 ديسمبر 2021

2- الشعر الفلسفي عند العرب:

اطلعت العرب على فلسفات الأمم الأخرى وأفكارها، وفي مقدّمتها أفكار اليونان وفارس، ويذكر التاريخ ست شخصيات كانت تمثل خطرا على النسق العباسي المحافظ وهم: عمرو بن عُبيد(ت144هـ)([1])، وواصل بن عطاء الغزّال(ت131هـ)[2] الذي صار إمام الاعتزال، وبشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس[3]، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وجرير بن حازم، غير أن أشهر شاعر عرف بالفلسفة فلقب بشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء هو أبو العلاء المعري، الذي عرف باطلاعه على كثير من ثقافات الشعوب وفلسفاتهم، فقال في هذا الأمر (بسيط):

ما مرّ في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف [4]

وأبو العلاء المعري (363 - 449 هـ = 973 - 1057 م) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري: شاعر فيلسوف، ولد ومات في معرّة النعمان، وكان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيرا فعمي في الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة، وهو من بيت علم كبير في بلده.[5]

والفلسفة الواضحة الأولى في شعره اجتماعية تكشف عن تبرمه من التناقضات المادية التي تعصف بالتوازن الاجتماعي:

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرى أو أمير مدوّج

---

[1]- ذكر صاحب الأعلام أنه زاهد عابد قدريّ وأنه كبير المعتزلة. له كتاب العدل والتوحيد والرد على القدرية، وينسب إلى "الدهرية". (ج6، ص105).

[2]- جاء في كتاب الأعلام ج8، ص108، أنه الغزّال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم :رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين.

[3]- ديوان بشار بن برد، ص21

[4]- اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري، تح: أمين عبد العزيز الخانجي، ج1، مكتبة الهلال بيروت، ومكتبة الخانجي القاهرة، ص3

[5]- ينظر: الزركلي ، الأعلام، ج1، ص157

وقد يرزق المجدود[1] أقوات أمة ويحرم قوتا واحد وهو أحوج[2].

غير أن قصيدته "غير مجد" تجمع عددًا كبيرا من أفكاره الفلسفية التأمليّة التي تختصر حيرته وتشاؤمه وربما مثاليته؛ فهو قد يكون ممن يرغب في أن تكون الحياة بغير تناقضات ولا مصاعب.([3])

أول عنصر يبرز تشاؤم أبي العلاء العبثية التي رأى أنها تحكم الحياة؛ فكل شيء في هذه الدنيا بلا غاية وبلا معنى وحتى الأمور المتضادة في دلالاتها هي في الحقيقة بلا معنى:

غيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنّمُ شادِ

وشَبِيهٌ صَوْتُ النّعيّ إذا قِيسَ بِصَوْتِ البَشيرِ في كلّ نادِ

أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمَامَةُ أمْ غَنَت عَلى فَرْعِ غُصْنِها المَيّاد

وهذه العبثية متصلة اتصالا وثيقا بالمبدأ الذي يحكم الحياة وهو أنها فانية، وهذا الفنلاء لوحده كاف بأن يشعر الإنسان بحقيقة ضعفه، فما عليه إذن إلا أن يعترف بحقيقة نقصه.

صَاحِ هَذِي قُبُورُنا تَمْلأ الرُّحْبَ فأينَ القُبُورُ مِنْ عَهدِ عادِ

خَفّفِ الوَطْء ما أظُنّ أدِيمَ الأرْضِ إلاّ مِنْ هَذِهِ الأجْسادِ

وقَبِيحٌ بنَا وإنْ قَدُمَ العـــــــهدُ هَوَانُ الآبَاءِ والأجْدادِ

سِرْ إنِ اسْطَعتَ في الهَوَاءِ رُوَيداً لا اخْتِيالاً عَلى رُفَاتِ العِبادِ

---

[1]- المجدود هو المحظوظ. والإشارة إلى الحظ هنا توكيد لعبثية الحياة.

[2]- ينظر: أحمد حسن محمد القاضي، أبو العلاء المعري، نبذة وجيزة عن حياته وشعره، مكتبة نور، ص ص 4-8

اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري، ص5

[3]- أبو العلاء المعري، شرح ديوان سقط الزند، دار بيروت - دار صادر، 1376-1957، ص ص7-8

رُبّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مراراً ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الأضْدادِ

وَدَفِينٍ عَلى بَقايا دَفِينٍ في طَـــويلِ الأزْمانِ وَالآباد

فاسْألِ الفَرْقَدَينِ عَمّنْ أحَسّا مِنْ قَبيلٍ وآنسا من بلادِ

كَمْ أقامَا على زَوالِ نَهارٍ وَأنـــارا لِمُدْلِجٍ في سَوَادِ

تَعَبُ كُلّها الحَياةُ فَما أعْ جَبُ إلاّ مِنْ راغبٍ في ازْديادِ

إنّ حُزْناً في ساعةِ المَوْتِ أضْعَافُ سُرُورٍ في ساعَةِ الميلادِ

خُلِقَ النّاسُ للبَقَاءِ فضَلّتْ أُمّةٌ يَحْسَبـــونَهُمْ للنّـــفادِ

إنّما يُنْقَلُونَ مِنْ دارِ أعْمالٍ إلى دارِ شِقْوَةٍ أو رَشَادِ

ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْدَةٌ يُستريحُ الجِسْمُ فيها والعَيشُ مِثْلُ السّهادِ

غير أن الشاعر يستدرك فجأة ويعود إلى رشده الإيماني فيقول بأن المرء مخلوق للاختبار وللحساب في اليوم الآخر، وبعد رثاء صديقه يواصل آراءه في الكون والحياة والموت والإنسان مؤكدا تشاؤمه:

كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ ما تَبْتَنِي الوَرْقاءُ والسّيّدُ الرّفيعُ العِمادِ

والفَتَى ظاعِنٌ ويَكفيهِ ظِلُّ السِدْرِ ضَرْبَ الأطْنابِ والأوْتادِ

بانَ أمْرُ الإلَهِ واختَلَفَ النّاسُ فَداعٍ إلى ضَلالٍ وَهَادِ

لكنه يعود إلى الإيمان مرة ثانية فيشير إلى أعظم حكمة وهي أن الله قد خلق المخلوقات الحية من جماد، لذا كان على المرء اللبيب أن يعتبر.

والّذي حارَتِ البَرِيّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِن جَمادِ

واللّبيبُ اللّبيبُ مَنْ لَيسَ يَغْتَرّ بِكَوْنٍ مَصيرُهُ للفَساد

وبذلك يكون من الحمق الاغترار بكل ما في هذا الكون من مباهج لأنه في نهاية المطاف زائل ولا بقاء إلاّ لله عز زجل.

الترجمة وأثرها في الشعر العربي:

بالرغم من اتصال العرب بثقافة اليونان وفلسفتهم منذ فترة ما قبل الإسلام خاصة من خلال الحروب، فإن التأثير البالغ كان في العصر العباسي، فشكلت الترجمات رافدا منهجيا للثقافة العربية من الحضارات السابقة كالفارسية، والهندية، واليونانية؛ فكثير من المؤلفات الفارسية والهندية التي ترجمت إلى اللغة العربية كـ"كليلة ودمنة"، وبعض الكتابات الهندية وغيرها كانت على أيدي النصارى من اليونانية إلى السريانية، ثم إلى العربية ثم أصبح من اليونانية إلى العربية مباشرة.

ولقد كان لنقل الفلسفة إلى العربية أثر بارز في الشعر العربي، لأن الشعر العربي صار يمتاز بصبغة فلسفية مضمونا وأسلوبا، كما كانت حال أشعار "بشار بن برد"، وأبي نواس، وأبي تمام، وأبي العتاهية، والمتنبي، وأبي العلاء المعري، وغيرهم . واستطاع هؤلاء الشعراء التعرف على الفلسفة اليونانية ومنطقهاخاصة بتأثر المعتزلة والمتكلمين وما شاع عنهم من أفكار فلسفية، وولعهم بالحجة والمجادلة، واستخدام المنطق، والمصطلح العلمي والفلسفي كالجسوم، والأعراض، والجواهر، والحركة، والسكون، والكُمون، وغيرها، مما جعل بعض معاني الفلسفة ومصطلحاتها تظهر في أشعارهم. يقول بشار في الإنسان المخيّر والمسيّر يقول ملتجئا إلى الجدال والاحتجاج (إحضار الحجة):

طبعت على ما فيّ غير مخيّر هواي ولو خيرت كنت المهذبا [1]

أريد فلا أعطي وأعطى ولم أرد ويقصر علمي على أن أنال المغيّبا

كما في قوله أيضا:

---

[1]- تعني المهذب هنا الخالي من كل عيب.

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟

بل إن ابا نواس ذكر الفلسفة في قوله:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

فلا تحظر العفو إن كنت امرأ حرجا فإن حظركه بالدين إزراء[1]

وبذلك صارت المعاني الفلسفية جزءا من قصيدة الشاعر الذي غدا يمجد العقل والسؤال والحيرة الفلسفية، وقد كان كل ذلك خطوة إيجابية في انتقال الشعر من الغنائية والوجدانية، إلى المعرفة الإنسانية الواسعة، وفي ذلك إضافة بعد جديد في الشعر العربي هو البعد العالمي الذي يتجلى في الإشادة بالعقل الإنسانيكما نجد ذلك في قول بشر بن المعتمر (ت210هـ) [2]

لله در العقل من رائد وصاحب في العسر واليسر

وحاكمٍ يقضي على غائب قضية الشاهد للأمر

وربما كان أبو تمام خير من يتجلى فيه هذا التأثير، ومن الدارسين من عزا غموض شعره إلى تاثير الفلسفة التي صارت جزءا من ثقافته كما في قوله:

ولهت فأظلم كل شيء دونها وأنار منها كل شيء مظلم

وهو بيت ولد عددا من التأويلات.

ومن تأثير الفلسفة في شعره استخدامه للقياس المنطقي في قوله:

---

[1]– ديوان أبي نواس برواية الصولي، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة ابو ضبع للثقافة والتراث، 2010، ص54

[2]– العلامة أبو سهل الكوفي، ثم البغدادي، شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف. كان شاعرا متكلما، وكانوا يفضلونه على أبان اللاحقي، وكان أبرص ذكيا فطنا، لم يؤت الهدى، وطال عمره فما ارعوى، وكان يقع في أبي الهذيل العلاف وينسبه إلى النفاق. وله كتاب " تأويل المتشابه " ، وكتاب " الرد على الجهال " ، وكتاب " العدل ". ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص203

وطول المرء في الـــحي مخـلق لديبـــاجتيه فاغـــترب تتجددِ

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد[1]

ومن المعروف أن الحاتمي(ت388هـ) قد ارجع عددا كبيرا من حكم المتنبي إلى مقولات أرسطو، وهذا لا ينقص من شأنه بل يدل على سعة ثقافته وقيامه بواجب الاستفادة من الثقافة الإنسانية، ومن الطبيعي أن تتفاعل تلك المعرفة مع الثقافة الأصلية والتجارب التي عاشها في بيئته، مما يدفع إلى القول بأن قراءة أرسطو لا تعني أن حكم المتنبي صياغة لفلسفة أرسطو، بل هي إبداع للمتنبي كذلك، كما تكشف حكمه التي تتماس مع الفلسفة سعة اطلاعه على التراث الإسلامي كما نجد ذلك في قوله:

وأكبر نفسي عن جزاء بغيبة وكل اغتياب جهد من لا جهد له

وهو من قول علي بن أبي طالب:"الغيبة جهد العاجز"

أما ممّا أخذه عن أرسطو فقوله:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وكان أرسطو قبله قد قال: "إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغها" غير أن المتنبي كان إيجابيا في حكمته أكثر من أرسطو حين أشار إلى التعب غير أنه لم ينف إمكانية تحقيق الغاية.[2]ورغم هذا التباعد الزمني والمكانبي بينهما، فإنهما يظلان علمين كبيرين وفيلسوفين ينطقان الحكمة برغم من اختلاف عصريهما وسياقهما الثقافي.

---

[1]– ينظر: رامي أبو شهاب، الثقافة اليونانية وأثرها في الأدب العربي، مجلة الكلمة على النات. تصفح يوم 25 ديسمبر 2021

[2]– ينظر: محمد تقي جون، تناصات المتنبي مع الثقافة العالمية، صحيفة المثقف، على النات، تصفح يوم 25 ديسمبر 2021

المحاضرة التاسعة: الأزجال والموشحات

ظهر الموشح في القرن التاسع الميلادي تأثرا بما حدث من تطور في الموسيقى بالبلاد الأندلسية، خاصة على يد زرياب(230 هـ)[1]، "ضرب من ضروب الشعر العربيّ لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا فيّ تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا، وفي الخرجة التي يخرج بها الوشاح من الفصيح إلى العامي تارة، وتارة أخرى إلى العجمي، كما يختلف عنها أيضا في تسمية أجزائه . فالموشح الأندلسي يعد بذلك، ثورة على القصيدة التقليدية التي تلتزم وحدة الأوزان ورتابة القافية، وليس تمرداً على الشعر العربي في جملته وتفصيله".[2]

أبدع الأندلسيون في جوانب كثيرة من الشعر الأندلسي، كالأراجيز والزهريات ورثاء المدن والاستعطاف وغيرها والاستغاثة، الاستعطاف، كما تفننوا في استعمال الألفاظ فاخترعوا ألفاظا جديدة معربة تتناسب وحياتهم الغنائية واجتهدوا في اختيار الحروف والكلمات، التي تؤدي إلى الانسجام الموسيقي، وهذه الظاهرة لم يسبقهم أحد إليها من قبل.[3]

ولقد تعددت تجارب الصياغة الشعرية فنظم الشاعر العربي معتمدا تعميم التصريع في كل النص الشعري كما نجد ذلك عند دويد بن نهد القضاعي – الشاعر المخضرم الذي عمر طويلا – القائل:

اليوم يبنى لدويد بيته

لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرني واحدا كفيته

يا رب نهب صالح حويته ...

---

[1] – هو علي بن نافع، أبو الحسن، الملقب بزرياب، مولى المهدي العباسي :نابغة الموسيقى في زمنه. كان شاعرا مطبوعا، عالما ببعض الفنون من الطبيعي وغيره، عارفا بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء، اجتمعت فيه صفات الندماء. وكان حسن الصوت. وهو الّذي جعل العود في خمسة أوتار، وكانت أوتاره أربعة. أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي وغيره... ينظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص28

[2] – محمد عباسة، اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية، مجلة حوليات التراث، عدد9–2009

[3] – ينظر: محمد عباسة الموشحات والأزجال وآثارها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب 1433–2012، ص31

ومن هذه الأشكال القديمة التزام روي في الشطر الأول وروي آخر في الشطر الثاني وهو الشكل الذي ما زال حاضرا في كثير من الشعر الشعبي العربي اليوم، ومنه الأبيات الشعبية المشهورة:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع ...

ثم تطور إلى المزدوجات وهي التصريع المتنوع من حرف إلى آخر كأن ينتهي الشطر الأول بهمزة ثم الشطر الثاني بهمزة أيضا وبعد ذلك ينتهي الشطر الثالث بلام مثلا وينتهي الرابع بلام ... والقصائد المقطعية تنتهي فيها ثلاثة أشطر بحرف ثم يأتي الحرف الرابع رويا لكل النص وفي كل مرة تتغير قافية الأشطر الثلاثة التي تسبق القافية التي يلتزمها الشاعر: ب ب ب ك – ل ل ل ك – ع ع ع ع ك ...الخ

وهي كلها تجارب فتحت المجال لتطور الشعر العربي لكن الصياغة التي التزمها الشاعر العربي بعد كل ذلك التجريب هي التصريع في البيت الأول ثم التحرر في الشطر الأول والتزام قافية وروي في نهاية كل بيت.[1]

الموشح الأندلسي:

بالرغم من محاولات تطوير الشعر الكثيرة التي ظهرت في المسمطات والأراجيز والمقطعية، غير أن الغلبة في نهاية المطاف كانت دائما لشعر الشطرين المعروف في أشهر القصائد كالمعلقات وكبريات النصوص واشهرها، غير أن الموشح فرض نفسه في الأندلس وصار نصا موازيا للشعر العربي العريق، مؤيدا بالغناء خاصة.

وكثيرا ما يشار إلى أن المسمطات[1] كانت أصلا للموشح وفي ذلك اختلاف بين الدارسين، خاصة وأنّها لم تحرّر الشعر على أكثر من مستوى كما فعل الموشّح.

---

[1] ينظر تفصيل ذلك: محمد عباسة الموشحات والأزجال وآثارها في شعر التروبادور ، ص ص35-46

يقول ابن خلدون (808 هـ): " ولما شاع فنّ التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنّا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاؤوا فيه بالغرائب، واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة.") [2]

الذين أنشؤوا الزجل لأول مرة هم المثقفون الذين كانوا ينظمون القصائد الفصيحة، وينتمون إلى الطبقة الوسطى وليس العامة، وكان لاختراع هذا النظم تلبية لحاجة العامة في القول الرفيع والغناء المنسجم.

كان لاتساع موجة الغناء والموسيقى منذ زرياب في عهد عبد الرحمن الأوسط أثر كبير في نشوء الموشحة بقصد الغناء بها مع العزف، وكأنها تتألف من فقرتين: فقرة للمنشد و فقرة ترد بها الجوقة. وكان بدء ظهورها في عهد الأمير عبد الله بن محمد (275-300 هـ) يقول ابن سعيد: "ذكر الحجاري في كتاب المسهب في غرائب المغرب أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب "العقد" ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر وكدست موشحاتهما".

وقد تطورت الموشحات تطورا بعد فترة من نشأتها تطورات عديدة، وكان من أهمها تطور أصابها في القرن الخامس الهجري، أيام ملوك الطوائف. ثم تطور آخر بعد ذلك بقليل فرع عنها ما يسمى بالزجل، حتى أصبح هذا الاتجاه الشعبي ممثلا في لونين: لون الموشحات، وقد صارت تكتب جميعا باللغة الفصحى، ولون الأزجال وقد صارت تكتب جميعا باللغة العامية.

وانتقل هذان اللونان من الأندلس إلى المشرق، فكثر فيه الوشاحون والزجالون. وعرفهما كذلك الأدب الأوروبي، فتأثر بهما شعراء جنوب فرنسا المسمون (التروبادور)، كما تأثر بهما كثيرون من

---

[1] -أبيات مشطورة تجمعها قافية واحدة وقيل المسمط...ما قفي أرباع بيوته، وسمط في قافية مخالفة يقال قصيدة مسمطة وسمطية كقول الشاعر ابن برّي:**وشيبة كالقسم غيّر سود اللمم داويتها كالكتم زورا وبهتانا** ينظر: لسان العرب، ص2093

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص 548

الشعراء الأسبان الغنائيين. وانتقل التأثير إلى الشعر الإيطالي ممثلا في عدة أنواع، مثل النوع الديني المسمى(لاودس) والنوع الغنائي المسمى (الآتا) .

ويسمي ابن بسام في ترجمته لعبادة بن ماء السماء مخترعها خطأ باسم "محمد بن حمود القبرى الضرير"، ويقول: "كان يضعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة" وظن بعض –الباحثين– وخاصة من المستشرقين الأسبان– أن ذلك يدل على أن الموشحة لم تكن تنظم في نشأتها بالفصحى على أعاريض الشعر العربي وأوزانه إنما كانت تنظم على أعاريض المقاطع مثل الشعر الأوروبي. وهو خطأ في الفهم إذ أن كلمة "الأعاريض المهملة غير المستعملة عند ابن بسام لا تفيد ذلك، إنما تفيد ما ردّده العرضيون المشارقة والمغاربة من أن الدوائر الخمس التي ضبط بها الخليل بن أحمد أعاريض الشعر العربي تفسح لأوزان مهملة لا تنحصر لم يستخدمها العرب في أشعارها، واستخدمها في عصره – كما يقول صاحب الأغاني– تلميذه عبد الله بن هارون بن السميدع البصري، وأخذ ذلك عنه وحاكاه فيه رزين العروضي وأتى فيه ببدائع جمة، وجعل أكثر شعره من هذا الجنس وقد أنشد ياقوت قصيدة له في مديح الحسن بن سهل، وأشار إلى أنها خارجة على أوزان الشعر العربي وأنها إنما تجري على وزن من أوزان الخليل المهملة، وهو في رأينا عكس وزن المنسرح. ويعد أبو العتاهية أهم شاعر عباسي ثان نظم أشعارا له مختلفة على تلك الأوزان المهملة.

موشح ابن زهر الأندلسي:

استحدث الأندلسيون الموشح أواخر القرن الثالث الهجري، وجعلوه مختلفا عن تقاليد النص الشعري المعروف في التراث العربي كله.

وضعت للموشح مصطلحات دالة على أجزائه هي: المطلع والدور والسمط والقفل والبيت والغصن والخرجة.

المطلع: ويسمى كذلك مذهبا ويكون إما شطرين أو أربعة أشطر

وكل شطر منه يسمى غصنا

1– **المطلع**: أيها الساقي إليك المشتكى(غصن) قد دعوناك وإن لم تسمع(غصن)

2– **الدور** : هو مجموع السموط

- **السمط:** هو الأشطر الثلاثة وناديم همت في غرّته

- سمط وبشرب الراح من راحته

سمط كلما استيقظ من سكرته

4- القفل(غصنان) جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعا في أربع

ما لعيني عشيت بالنظر

أنكرت بعدك ضوء القمر

وإذا ما شئت فاسمع خبري

عشيت عيني من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خفق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكى ويحه يبكي لما لم يقعِ

ليس لي صبر ولا لي جلدُ

يا لقومي عذلوا واجتهدوا

أنكروا شكواي مما أجدُ

مثل حالي حقها أن تشتكي كمد اليأس وذل الطمعِ

كبدي حري ودمعي يكفُ

تعرف الذنب ولا تعترفُ

أيها المعرض عما اصفُ

5-**الخرجة** (القفل الأخير) قد نما حبي بقلبي وزكا لا تخل في الحب أني مدعي[1]

6- البيت: ويطلق على المطلع مضافا إليه القفل الذي يليه:

- أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

---

[1]-فوزي سعيد عيسى، ابن زُهر الحفيد وشاح الاندلس، دار المعارف الاسكندرية، ص ص 180-182- سلمان درويش المعموري، الموشحات النشأة والتطور ، جامعة بابل. ينظر: على النات تصفح يوم 5 جانفي 2022

جذب الزق إليه واتكـا وسقاني أربعا فـي أربع

فهذا الموشح الذي اشتهر كثيرا مع موشح آخر للسان الدين بن الخطيب "جادك الغيث" وهو في الأساس في غرض المدح، غير أن الوصف والغزل قد غلبا على الغرض الأصل[1] يبرز لنا قربه من اللغة العربية المعروفة في الشعر العربي ومن الأوزان الخليلية مع شيء من التصرف في الروي بما يوافق الغناء والطرب، وبالنظر إلى الإمكانيات الفنية واللغوية التي نلاحظها لدى الوشاحين فإننا ندرك أن ولعهم بهذا اللون الفني كان إسهاما إيجابيا في النهوض بمستوى النصوص المغناة، ويمكننا الرجوع إلى اشعار لسان الدين بن الخطيب للتعرف على شاعر كبير قد اكتملت عنده كل أدوات الإبداع الشعري.

---

[1]-عبد الحليم حسين الهروط، موشحات لسان الدين بن الخطيب، دار جرير عمان الاردن، 1433-2012، ص142 وما بعدها

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم رواية ورش

1-المعاجم:

2-ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي)، لسان العرب، ، تح: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة.

3-أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي. ج1، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1429-2008.

4-عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار، مصر الجديدة ، ط3، 2004

2-المصادر:

1-ابن خلدون، المقدمة ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر بيروت، 1421-2000

2-ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، تحقيق عامر بن علي ياسن، دار ابن خزيمة السعودية 2009

3-ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح:عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت،1424، 2004

4-ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: عبد الحميد محمد محي الدين، مطبعة السعادة بمصر، 1955/1374

5-ابن سلام الجُمَحي(139-231هـ)، طبقات فحول الشعراء، تح: أبي فهر محمود محمد شاكر، دار النشر المدني جدة.

6-ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاتهورتب فهارسه، أحمد أمين إبراهيم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، تح: أحمد محمد شاكر دار المعارف 1982.

7-الأبياري عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1368-1949.

8-الأصفهاني، الأغاني، ج20، تح:علي الجندي ناصف، إشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993

9-الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت .

10- البغدادي"عبد القادر بن عمر"، خزانة الأدب، ج3، ط4، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي 1997.

11- الثعالبي "أبو منصور"(ت430هـ)، فقه اللغة وأسرار العربية، دار مكتبة الحياة بيروت.

12- الجاحظ ، الحيوان، ج1. تح: محمد عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1965/1384م

13- الجاحظ، البيان والتبيين، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1418-1998

14- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، تح: محمد شرف الديم يالتقايا، دار إحياء التراث العربي.

15- الحميري "محمد عبد المنعم"، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط1984/2

16- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، مؤسسة الرسالة بيروت، ط11، 1996/1417

17- الزركلي "خير الدين"، الأعلام، ج7، دار العلم للملايين، ط2002/15

18- الزِركليّ، الأعلام، ج3، ط1986/7، دار العلم للملايين بيروت

19- الزوزني، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية ، الجيزة 2015

20- الزوزني، شرح المعلقات السبع، المكتبة العصرية، صيدا / بيروت، 2013

21- الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار مكتبة الحياة بيروت، ط 1966

22- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ط 1966، دار مكتبة الحياة بيروت

23- الزوزني، شرح المعلقات العشر، دار الحياة بيروت، 1983

24- السخاوي(643)، فتح الوصيد في شرح القصيد، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1425/1-2004

25- السرقسطي، أبو محمد القاسم بن ثابت، الدلائل في غريب الحديث، ج3، تحقيق محمد بن عبد الله القناص، مكتبة

26- السيوطي(ت911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية بيروت،ج1،تح: محمد جاد المولى وآخرون، 2014، ص31

27- الطبري، تاريخ الامم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1/ 1407، ج2

28- العسكري أبو هلال، ديوان المعاني، ج1، دار الكتب العلمية، تح: أحمد حسن بسج، 2009

29- قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العربية، بيروت، (1402 هـ- 1982م)،

30- القرشي، أبو زيد(ت170هـ)، جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر القاهرة ، ط1/1981

31- المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، مراجعة وتدقيق مروان سوار، دار الجيل بيروت، 1998

32- المرزباني "محمد بن عمران بن موسى"، مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين ط1/ 1415هـ-1995، دار الكتب العلمية بيروت

3 - الدواوين:

1- ابن الفارض، ديوانه، دار صادر، بيروت

2-ابن حلزة اليشكري(ت43 ق.هـ)، ديوانه، تح: مروان العطية، دار الهجرة دمشق ودار الإمام النووي بيروت، 1415-1994،

3-ابن حلزة اليشكري، ديوانه، شرح مروان العطية، دار الإمام النووي دمشق، ودار الهجرة بيروت، ط1، 1994/1415

4-ابن عربي، ديوانه، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1996/1416

5-أبو العتاهية(130-210هـ)، ديوانه، دار بيروت، ط 1406-1986

6-أبو العلاء المعري شرح ديوان سقط الزند، دار بيروت - دار بيروت- دار صادر، 1957-1376

7-أبو العلاء المعري، اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء، تح: أمين عبد العزيز الخانجي، ج1، مكتبة الهلال بيروت، ومكتبة الخانجي القاهرة

8-أبو تمام، ديوان الحماسة، برواية الجواليقي،شرح وتعليق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت،ط1/1418-1998

9-أبو نواس ديوانه برواية الصولي، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، 2010

10- أبو نواس(ت199هـ)، ديوانه برواية الصولي ن بن هانئ الحكمي، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، ط1، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية أبو ظبي، ط2010/1

11- البحتري، ديوان الحماسة، تح: محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة،ط2007/1

12- بشار بن برد، ديوانه ، شرح محمد الطاهر بن عاشور، ج1، علق عليه رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين، 1369-1950، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة

13- بشر بن خازم الأسدي، ديوانه، تقديم وشرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، 1994/1415

14- تأبط شرا، ديوانه، تحقيق علي ذو الفقار، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1404-1984

15- جرير ديوانه، دار بيروت، 1406، 1986

16- الحارث بت حلزة اليشكري، ديوانه، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1/1991-1411.

17- الحارث بن حلزة اليشكريّ، ديوانه، تح: محسن عطية،دار الإمام النووي دمشق، دار الحديث دمشق،ط1415،1هـ-1994

18- حسان بن ثابت الأنصاري ، ديوانه ، شرح وتقديم عبد أ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط 2/ 1414 - 1994

19- الحطيئة، ديوانه برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ططط1/1413-1993

20- الحطيئة، ديوانه برواية وشرح ابن السكيت،(186-246هـ) دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1/1413/1993

21- ديوان الأخطل، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، ط2/1414/1994، دار الكتب العلمية بيروت،

22- زهير بن أبي سُلمى، ديوانه، تح علي حسن فاعور دار الكتب العلمية بيروت ط1/1408-1988،

23- زهير بن أبي سلمى، ديوانه، تح: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1-1408-1988

24- زهير بن أبي سلمى، ديوانه، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، 1408-1988

25- السليك بن السلكة، ديوانه، تقديم طلال حرب، دار صادر بيروت، ط1، 1996

26- الشافعي، ديوانه، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر القاهرة، ط2/1405-1985

27- الشنفرى عمرو بن مالك، ديوانه، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2/1417-1996

28- طرفة بن العبد ديوانه، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3/1423/2002

29- طرفة بن العبد، ديوانه، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون البحرين، المؤسسة العربية بيروت، ط2/2000

30- طرفة بن العبد، ديوانه، تقديم مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت، 1423. 2002،

31- عبد الله بن المبارك "الإمام المجاهد"، ديوانه تح: مجاهد مصطفى بهجت، مجلة البيان، 1431-2010

32- عَبيد بن الأبرص، ديوانه، شرح اشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، ط1/1414-1994

33- عبيد بن الأبرص، ديوانه، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، ط1، 1414، 1994،

34- عدي بن زيد العبادي، ديوانه، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد بغداد 1385- 1965،

35- عروة بن الورد أمير الصعاليك، 1418-1998 ديوانه، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية بيروت.

36- عروة بن الورد أمير الصعاليك، ديوانه، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت

37- عروة بن الورد والسموأل، ديواناهما، دار بيروت، 1402-1982

38- عروة بن الورد، ديوانه، شرح ابن السكيت، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1997

39- علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه أمير المؤمنين ، ديوانه، طبعة مصححة ومنقحة على الرواية الصحيحة، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط1/1409-1988 (مذكور)

40- علي بن أبي طالب، ديوانه، طبعه وصححه وجمعه ورتبه عبد العزيز الكرم، مكتبة لسان العرب المنصورة، ط1-1409-1988

41- عنترة ، ديوانه ، شرح الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط1، 1412، 1992

42- الفرزدق، ديوانه، تح: شاكر الفحام، المنشورات الجامعية الجزائر 1981

43- الفرزدق، ديوانه، شرح إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ج2، ط1، 1983

44- الفرزدق، ديوانه، شرح وضبط وتقديم: علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، 1407-1987

45- كعب بن زهير، ديوانه، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت،1417-1997

46- كعب بن زهير، ديوانه، تحقيق وشرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، 1417-1997

47- كعب بن مالك الأنصاري، ديوانه، دراسة وتحليل: سامي مكي العاني، مكتبة النهضة بغداد، ط1، 1386/1966

48- الكميت بن زيد الأسدي، شعره، جمع وتقديم داود سلوم، مكتبة الأندلس بغداد، 1969

49- لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه ، دار صادر

50- المتنبي، التبيان في شرح الديوان للعكبري، ضبط وتصحيح مجموعة أساتذة، ج3، دار المعرفة بيروت

51- المتنبي، ديوانه ، شرح عبد الرحمن المسطاوي، دار المعرفة بيروت، ط1/1424-2003

52- المتنبي، شرح العكبري(ت610هـ)، ديوانه، ج4، ضبط نصه وصححه كمال طالب، دار الكتب العلمية بيروت2008

53- المسيَّب بن علس، ديوانه، جمع وتحقيق ودراسة: عبد الرحمن محمد الوصيفي، مكتبة الآداب القاهرة، ط1/1423-2003،

54- النابغة الجعدي، ديوانه، تحقيق واضح الصمد، دار صادر بيروت، ط1، 1998

4- المراجع

1-ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت،1424، 2004

2-أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت، ط10/ 1969

3-أدونيس، الثابت والمتحول، ج2- تأصيل الأصول، ط4، دار العودة بيروت، 1986

4-أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق إبراهيم: حمادة، مكتبة الأنجلومصرية 1983

5-الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة، مختارات من الشعر الجاهلي، شرح وتعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل بيروت.

6-إنعام الجندي، دراسات في الأدب العربي، ط2 ، دار الأندلس 1967، بيروت

7-بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ط2، دار العلم للملايين، 1986

8-بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج5، تح: عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، 1977، دار المعارف

9-بوجمعة بوبعيُو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب دمشق،2001

10- تقي الدين عبد القادر التميمي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، دار الرفاعي الرياض، ج1، 1983

11- جابر عصفور، غواية التراث" كتاب مجلة العربي"1995، الكويت.
12- جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة بيروت، 1966
13- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، سلسلة الأنيس الجزائر م و ف م للنشر، 1991
14- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،ج1، مراجعة وتعليق شوقي ضيف، دار الهلال القاهرة
15- جواد علي(ت1408)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الساقي بيروت، ط4، ص150.
16- خالد يوسف، قصة الأدب العربي: من بدايته حتى العصر الحديث، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط2010/1
17- ديزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1995
18- رامي أبو شهاب، الثقافة اليونانية وأثرها في الأدب العربي، مجلة الكلمة على النات. تصفح يوم 25 ديسمبر 2021
19- سراج الدين محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية بيروت
20- سعد بوفلاقة، رابعة العدوية البتول الشاعرة المتصوفة، حوليات التراث جامعة مستغانم، عدد8/سبتمبر 2008،
21- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات: النشأة التاريخ العقيدة التوزيع الجغرافي، دار الأوائل دمشق، ط3، 2005
22- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات: النشأة التاريخ العقيدة التوزيع الجغرافي، دار الأوائل دمشق، ط2005/3،
23- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف القاهرة 1960
24- شوقي ضيف، سلسلة تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، دار المعارف، ط11
25- صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الحماسة البصرية، تح: عال سليمان جمال، مكتبة الخانجي، 1999/1420
26- طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق القاهرة، ط3/ 1352-1933

27- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981

28- عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ط3، دار المعارف بمصر

29- عبد الحليم حسين الهروط، موشحات لسان الدين بن الخطيب، دار جرير عمان الاردن، 1433-2012

30- عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط1/1987 عبد الرحمن

31- عبد الرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، دراسات إسلامية، ط2، 1962- مكتبة النهضة المصرية،

32- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية،1407/ 1987

33- عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، دار التنوير القاهرة، ط1/2012

34- علي الشعيبي، الإيجابية السلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2002

35- علي العاملي الكوراني، جواهر التاريخ، ج3، ط1/1426 مؤسسة التاريخ العربي، اسطنبول، ص401

36- فوزي سعيد عيسى، ابن زُهر الحفيد وشاح الأندلس، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط1/1983

37- فيليب حتي، تاريخ العرب، نقلا عن عفت الشرقاوي، دروس ونصوص قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية1987، بيروت

38- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تح: إبراهيم النجار، دار المعارف، 1977

39- محمد الصديق بغورة، في النص الشعري العربي القديم وقضاياه، ط1، الماهر العلمة 2018

40- محمد تقي جون، تناصات المتنبي مع الثقافة العالمية، صحيفة المثقف، على النات، تصفح يوم 25 ديسمبر 2021

41- محمد سعيد مولوي، ديوان عنترة تحقيق ودراسة، المكتب الإسلامي جامعة القاهرة، 1964،

42- محمد عباسة، اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية، مجلة حوليات التراث جامعة مستغانم، عدد9-2009

43- محمد محمد حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية،ج3، مؤسسة الرسالة بيروت، 2014

44- المقريزي(ت845هـ)، تاريخ المقريزي الكبير، تح: محمد عثمان، ج5، دار الكتب العلمية

45- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف مصر، 1978

46- نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، دار الفكر مكتبة الخانجي

47- نصر محمد عباس، النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العلمية، دبي، ط1/2016

48- هلال الجهاد، فلسفة الشعر الجاهلي، دار المدى دمشق، ط1، 2001

49- يحي الجبوري، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مكتبة النهضة بغداد بمساعدة جامعة بغداد، ط1/1384/1964،

50- يعقوب أفرام منصور: أبيقور وفلسفته التي أسيء فهمها: نصوص يعقوب أفرام منصور، مجلة الزمان على النات بتاريخ فبراير 1-2015، تصفح يوم 5 جانفي 2022

51- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف القاهرة 2010

5-الرسائل الجامعية:

1-حسين قائمي أصل، دكتوراه أثر الحضارة الفارسية في شعر عدي بن زيد العِبَادي من منظور علم النفس الاجتماعي، جامعة أصفهان إيران، 1433هـ.

6-المجلات:

1-أحمد درويش، نحو تأسيس قراءة نقدية معاصرة للنص الشعري القديم، مجلة فكر وإبداع(محكمة)، عدد3، 1999

2-جهاد فاضل، ظاهرة الشعراء الصعاليك، مجلة الرياض، عدد 12 ديسمبر 2016
3-خميسي ساعد، مفهوم علم الكلام عند الفارابي، مجلة إنسانيات جامعة وهران، 31-12-2020
4-شريف علاونة، عمرو بن براقة الهمداني: سيرته وشعره، ط1/1424-2005، دار المناهج عمّان
5-عباس المناصرة، الشعر والغناء والإنشاد في حياة العربي، المجلة الثقافية الجزائرية، 2019/08/13، تصفح يوم 26 ديسمبر 2021
6-فاضل عبود التميمي، البنية المتجاورة الرمزية وأبعادها في شعر الصعاليك والفُتاك حتى نهاية العصر الأموي، مجلة ديالي، عدد 66، سنة 2015

7-المواقع الألكترونية:

1-أحمد حسن محمد القاضي، أبو العلاء المعري: نبذة وجيزة عن حياته وشعره، مكتبة نور الألكترونية (1442-2021)
2-بدر عبد الحميد هميسه، شاعر وقصيدة لامية العجم، الطغرائي الأصفهاني. تصفح يوم 30 ديسمبر 2021
3-جميل حمداوي، التصوف والأدب، موقع ديوان العرب على النات: 2007، تصفح يوم 12 أكتوبر 2021
4-سلمان درويش المعموري، الموشحات النشأة والتطور، جامعة بابل. ينظر: على النات تصفح يوم 5 جانفي 2022
5-لعبيدي منيرة، ملامح النظرية السياقية عند الإمام الشاطبي (ت790هـ)، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها جامعة الوادي، عدد14، ج15، 2018
6-محمد الحاج لقوس، من خصائص الأدب الصوفي ولوعه بالإشارة، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد جامعة الشلف،ج3، عدد2، سبتمبر 2019

8- المراجع الأجنبية:

1- André Miquel, La littérature Arabe,1ere éd, presses universitaires de France, Paris, 1969, pp24-25

9- المواقع الإلكترونية الأجنبية

2- *Soubbotnik Michael A., « Poésie et politique », Revue Française d'Histoire des Idées Politiques 2/2007 (n°26). URL: www.cairn.info/revue-francaise-d-histoire-des-idees-politiques1-2007-2-page-3.htm.*
DOI : 10.3917/rfhip.026.0003

فهرس المحتويات

المجلس العلمي - جامعة البويرة - كلية الآداب واللغات

رقم المحاضرة	عنوانها	الصفحة
/	مقدمة	
01	الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا	03
02	المعلقات مضامينها وأساليبها	19
03	شعر الصعاليك	36
04	الشعر في صدر الإسلام .	50
05	الزهد والتصوف: أبو العتاهية ابن الفارض	57
06	الحماسة ومكانتها في تاريخ الاختيارات الشعرية العربية	68
07	الشعر السياسي في المشرق والمغرب	78
08	شعر الحكمة والشعر الفلسفي	90
09	الأزجال والموشحات	104
/	قائمة المصادر والمراجع	110
/	فهرس المحتويات	122